رابطة الأدب الحديث تقدم :



١ ـ العقـــاد
٢ ـ عزيز أباظة
٣ ـ ثروت أباظة
٤ ـ زكى مبارك
٥ ـ د . خفاجى
٦ ـ د عبد العزيز شرف
٧ ـ إبراهيم صبرى
٨ ـ عبدالله شمس الدين
٩ ـ أحمد بهجت
١٠ ـ محمود أبو الوفا
١١ ـ العوضى الوكيل
١٢ ـ الباقورى
١٣ ـ نصر الدين عبد اللطيف
١٤ ـ كيلانى سند
١٥ ـ عاطف السيد
١٦ ـ د. مختار الوكيل
١٧ ـ نور نافع
١٨ ـ د. محمد صبرى السربونى
١٩ ـ د. محمد كامل حسين
٢٠ ـ سعاد عبد الله
٢١ ـ رشيد الذوادى

بقـــلم

محمد علي عبد العال

رابطة الأدب الحديث تقدم :



1 ـــ العقـــاد
2 ـــ عزيز أباظة
3 ـــ ثروت أباظة
4 ـــ زكى مبارك
5 ـــ د. خفاجى
6 ـــ د. عبد العزيز شرف
7 ـــ إبراهيم صبرى
8 ـــ عبدالله شمس الدين
9 ـــ أحمد بهجت
10 ـ محمود أبو الوفا
11 ـ العوضى الوكيل
12 ـــ رشيد الذوادى
13 ـــ نصر الدين عبد اللطيف
14 ـــ كيلانى سند
15 ـــ عاطف السيد
16 ـــ سعاد عبد الله
17 ـــ نور نافع
18 ـــ د. محمد صبرى السربونى
19 ـــ د. محمد كامل حسين
بقلم أميل توفيق
20 ـــ د. مختار الوكيل
21 ـــ الباقورى

بقلم



بسم الله الرحمن الرحيم

مع هؤلاء ..

د . عبد العزيز شرف

هذا كتاب ممتع حقا ، يجمع إلى الفائدة الأدبية متعة عقلية ، إذ تصدى لكتابته شاعر مبدع هو الأستاذ محمد على عبد العال ، جمع إلى شاعريته رؤيا نقدية ، تنفذ إلى عوالم « هؤلاء » ومن « هؤلاء » ؟ إنهم أعلام الفكر والأدب العربى الحديث يختق منهم الصفوة التى تمثل اتجاهات الأدب الحديث ، فيتحدث عن العقاد وعزيز أباظة وثروت أباظه وزكى مبارك و د . عبد المنعم خفاجى وعبد الله شمس الدين ومحمود أبو الوفا والعوضى الوكيل وكيلانى سند وأحمد بهجت وسعاد عبد الله وعاطف السيد وابراهيم صبرى ونصر الدين عبد اللطيف ونور نافع ومحمد صبرى السربونى ود. مختار الوكيل و د. محمد كامل حسين والشيخ الباقورى . ورشيد الدرادى .

نخبة من أعلام الأدب يتيح لك المؤلف أن تستمتع بصحبتهم ، والتعرف إلى جوانب من حياتهم وفكرهم ، فينطلق من «مفتاح الشخصية» كما يقول العقاد لينفذ إلى هذه الجوانب ، التى تأثر المؤلف بها قراءة وتعارفاً ، ويحرص على أن يعرف بمقومات الشخصية التى يتصدى للكتابة عنها ، على نحو ما نقرأ فى فصل العقاد ، وأثر البيئة والنشأة فى تكوينه ، وما يتسم به من تقديس الحرية ونزعة عقلية منذ الصغر .

ويختتم هذا الفصل بقول العقاد الجامع المانع : «ربما وصف الرجل بالقدرة لأنه مقتدر على بلوغ مقاصده ، واحتجاب منافعه والاضرار بغيره ، ولكنه إذا وصف بالعظمة فإنما يوصف بها لفضل يقاس بالمقاييس الانسانية» .

وحينما ينتقل بنا إلى المسرح الشعرى ورائده عزيز أباظة ، يتمثل بقول الكاتب الكبير ثروت أباظة . «بانتقال رائد المسرح الشعرى عزيز أباظة إلى الرفيق الاعلى انتقل الشعر المسرحى إلى الرفيق الاعلى أيضا» .

وينفذ إلى «مفتاح شخصية» أديبنا الكبير ثروت أباظة ،

فيقول : أنه منذ ظهور أول رواية وهو ملتزم بالتراث معبر عن قضايا مجتمعه بصدق ، لا يجامل ولا ينافق ولا يخادع ، ولا يسعى لغرض ولا ينحني من أجل مصلحة زائلة ، بل يدافع عن الحق ويسعى لهدف مشروع يعمق به قيم المجتمع العليا » .

وفي دراسته للدكاترة زكي مبارك يضع أمام القارىء أكثر من « مفتاح » للتعرف على عوالم « الدكاترة » زكي مبارك ، الموهبة الشعرية ، الأزهر ، الجامعة ، الثورة ، باريس ، القيم ، ثم يقدم لنا لوحة لزكي مبارك ناقدا ، وصاحب حديث ذي شجون .

وينقلنا إلى أشواق الحياة ، العالم الشعرى المتميز للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي لم يكتب الشعر إلا لتحقيق رسالته الإنسانية والإسلامية التي كرس لها كل طاقاته ومواهبه الابداعية والفكرية التي سخرها الله تبارك وتعالى لقلمه فجاء هذا الشعر معبرا عن رسالته في مجملها ، وعن فكره الذي تحفل به مؤلفاته العديدة في الاسلاميات والأدب والنقد والتاريخ .

ومن الطريف أن نذكرهنا أن ديوان د . خفاجي قد اختار له اسما موصيليا يكاد يكون « أبو الليا » خالصا وهو « أشواق

الحياة ، وكأنه بذلك يدعم اتجاه شعرائه الأثيريين فى جماعة أبولو .

فديوان الشابي عنوانه « أغانى الحياة » وكان عنوانه الاصلى « الاشواق التائهة » الذى كان ينوى اصداره الأديب الحجازى المرحوم محمد العامر الرميح . وهو العنوان الذى كان قد أعلن عنه الشابي وأبو شادى فى مجلة أبولو ، ثم نشره الاستاذ أبو القاسم كرو بعنوان « أغانى الحياة » .

وهكذا يقدم لنا الأديب الشاعر محمد على عبد العال صفحات مشرقة من أدبنا العربى الحديث ، يتجلى فيها حسه النقدى والشعرى . وأرجو أن تتاح للقارىء الكريم فرصة كتلك التى أتيحت لى للاستمتاع بهذا الكتاب القيم .

د . عبد العزيز شرف

﴿ مكونات العظمة عند العقاد ﴾

« قد يكون الرجل العظيم نمطا وحيدا فى التاريخ كله لا نظير له فى تفصيل أخلاقه وصفاته ، وإن ساواه فى القدر أنداد وقرناء » .

هذه العبارة من كلمات العقاد العظيم ، وهى بالطبع لم يكن يقصد بها نفسه ، لأن العظيم الحقيقى لا يشعر بمكونات العظمة فيه بقدر ما يشعر بها ويستفيد منها الذين يعاصرونه ، ثم المجتمع الإنسانى كله على مدى التاريخ بعد ذلك ، وقد كنت واحدا من هؤلاء الذين استفادوا فى تكوينهم النفسى والاجتماعى من معاصرتى العقاد العظيم فمنذ دراستى الإبتدائية كان العقاد ضمن أول من قرأت لهم ، وبمرور الزمن استأثر العقاد بجزء كبير منى فى القراءة له والإعجاب بشخصيته فى وقت واحد ، فالذى يحب العظمة فى الرجال سوف يجد فى العقاد ما يرضيه .

ومن هنا أستطيع أن ألخص مكونات العظمة عند العقاد فى العناصر الآتية :

١ — البيئة والنشأة :

لقد ورث عن أبيه وأمه بصفة خاصة أعراق الحسب والنسب

والإعتداد بالشخصية ، بين بيئة توحى حوله بعظمة التاريخ والأجداد ، وفى هذا يقول العقاد العظيم مشيراً إلى البيئة والنشأة فى أسوان) من قصيدة أنس الوجود) :

درجنا بحيث الدارجون عروشهم
قيام تناجى فى سكينتها الدهرا
تلوح على تلك الرمال كأنها
خطى الزمن الوثاب تاركة إثرا

٢ — الشعور بالجلال والعظمة للأمجاد السابقة : خاصة وهو صاحب فطرة موهوبة ، لا يستطيع الإنفصال عما يحيط به .

٣ — قوة الشخصية منذ الصغر : فقد رفض أن يلبس البنطلون القصير لأنه كان وهو طفل صغير يشعر بالرجولة ، ورفض أن يلقبه المدرس وهو فى المدرسة الإبتدائية باسم عباس حلمى، وقوله النحاس بعد ذلك : إنى كاتب الوفد بالحق لإلهى ، وأيضاً عبارته المشهورة فى البرلمان بسبب استبداد الملك : إن هذا الشعب على استعداد لأن يسحق أكبر رأس فى هذا البلد .

٤ — موهبته القوية التى جعلت الإمام محمد عبده يقول عنه وهو طفل صغير ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد .

٥ ــ الإصرار على الهدف : فقد أصدر وهو تلميذ صغير صحيفة باسم (التلميذ) معارضا فيها مقالات عبد الله النديم فى صحيفة (الأستاذ) ثم أصدر بعد ذلك صحيفة الضياء معارضا بها حزب الوفد عندما اختلف معه فى الرأى .

٦ ــ طبيعة الشاعر فيه : فقد كان يحب الطبيعة والزهور ويميل إلى معرفة طبائع الأشياء ، وليس هناك أعظم من طبيعة الشاعر فى فهم عناصر الوجود والثورة على كل وضيع يحط من قيمة الحياة ، ولو ملك أسباب الغنى والجاه ، فقد كانت عظمة العقاد الحقيقية فى قوة فكره وشخصيته التى لم يهنها قط فى حفلات وموائد ذوى المال والجاه والسلطان ، فقد احتفظ بمكانته واحترام كلمته فلم يتقرب بها لأحد ، لأنه كان يعتقد أن أصحاب الكلمة والرأى هم أولى الناس بالرفاهية والمتعة لأنهم هم الذين يصنعون الحضارة وليس المال مع الجهل ، وفى هذا كان شعره الشباب الواعى :

شبان مصر وما دعوت سوى الأولى

يحيا بهم أمل البلاد ويورق

أيعيش فى لهو الرفاهة من له
من كل صعلوك إله مطلق
لكم للغد المنشود فاعتصموا به
فإذا استقر لكم أساس فارتقوا

٧ — الشعور الزائد بالكرامة ، فلم يثبت أنه أهان نفسه فى موقف من أجل منصب أو مال .

٨ — تقديس العقاد للحرية : فقد كان يمارسها فى شكل سلوك يومى معتاد ومن الطبيعى أن يصطدم من يتمسك بحريته بكل ما يتعارض معه من أفراد وجماعات ، وقد كانت معارك العقاد الأدبية والسياسية نتيجة دفاعه عن هذا الحق ومن أشهر هذه المواقف موقفه من حزب الوفد وخلافه معه ، وأيضا موقفه مع طه حسين فى البرلمان وفى الصحف بسبب ما أثاره طه حسين فى كتابه عن الشعر الجاهلى وحق الكاتب فى حرية التعبير عن رأيه وفكره .

٩ — نزعته العقلية منذ الصغر : فقد ثبت أنه كان يحل مسائل الحساب التى كان يعجز زملاؤه عن حلها ، وقد لازمته هذه النزعة طوال حياته .

١٠ — الصدق فى القول سرا وعلانية : فلم يثبت عنه منذ طفولته وطوال حياته الكذب لا فى مواقفه الصغيرة ولا فى مواقفه الجادة .

١١ — قوة المنطق والاستدلال والتحليل والحجة : ويظهر ذلك فى كل كتاباته ، وبخاصة التحليل النفسى والمنطق فى كتاباته عن العظماء ، حتى ولو تعارض ذلك مع الكتابات السابقة والسائدة فهو مثلا اعتبر عمر بن الخطاب المؤسس الاول بين الخلفاء للدولة الإسلامية على الرغم من أن لأبى بكر الأسبقية فى الولاية والحكم ولكن التحليل العقلى للأمور من وجهة نظر المنهج العقادى يقول بأن عمر بن الخطاب هو الذى حسم أمور الخلاف لولاية أبى بكر .

١٢ — الصلابة فى الرأى : فلم يتراجع العقاد فى موقف اتخذه ، وقد لقبه سعد زغلول بالكاتب الجبار .

١٢ — قوة الإرادة : التى جعلته لا يحيد عن الهدف الذى يرتضيه لنفسه .

١٤ — المهابة : فقد كان يهابه الغير ويرهبه ويخشاه ، وقد صور هذه المهابة فى إحساسه بمشاعر « العقاب الهرم » حيث يقول :

لعينيك يا شيخ الطيور مهابة
يفر بغاث الطير منها ويهزم
وما عجزت عنك الغداة وإنما
لكل شباب هيبة حين يهرم

١٥ — ميله للقوة : وقد ظهرت فى سلوكه ومواقفه الشامخة وكراهيته لمواقف الضعف وكتاباته عن الرجل « السوبر مان » .

١٦ — الجرأة : فلم يهب موقفاً أقدم عليه .

١٧ — الصراحة : فلم يكن يعرف المداهنة والرياء وإمساك العصا من الوسط بل كان سلوك العقاد الخارجى هو نفسه العقاد من الداخل :

١٨ — الثقة بالنفس : وقد تولدت هذه الثقة نتيجة وثوقه من معلوماته وأبحاثه ودراساته التى شملت الشرق والغرب والكون والحياة والأحياء ، كل الإحياء من إنسان وحيوان ونبات ، فقد كان العقاد عالماً فى جميع الكليات والجزئيات .

١٩ — القدرة والكمال والمثالية : ولعل العقاد استفاد بجانب طبيعة العظمة فيه من شخصيات : جمال الدين الأفغانى .

محمد فريد وجدى ـ الإمام محمد عبده ـ سعد زغلول ـ أصحاب العبقريات الذين درس شخصياتهم وكتب عن نواحى العظمة فيهم.

٢٠ ـ الرجولة الكاملة : منذ صغره وحتى وفاته ، وتدل عليها جميع مواقفه ، منذ تلك التى كانت تحدث مع زملائه فى المدرسة الإبتدائية ، وحتى مواقفه مع جميع الحكومات المعاصرة له وأيضاً مواقفه من قضايا المجتمع .

يقول العقاد العظيم :

ربما وصف الرجل بالقدرة لأنه مقتدر على بلوغ مقاصده ، واحتجاب منافعه والإضرار بغيره ، ولكنه إذا وصف بالعظمة فإنما يوصف بها لفضل يقاس بالمقاييس الإنسانية العامة .

عزيز أباظة

رائد المسرح الشعرى

كان الأديب الكبير الأستاذ ثروت أباظه أكثر واقعية عندما قال : شيء عظيم أن يهتم الأستاذ سمير كرم فريد والمرحوم جبر بتقديم هذا الكتاب عن الرائد الثانى للشعر المسرحى فى العالم العربى عزيز أباظة ، والذى بانتقاله إلى جوار الرفيق الأعلى - انتقل الشعر المسرحى إلى الرفيق الأعلى أيضاً ، فنحن لا نستطيع أن نهمل « شوق » كرائد أول للمسرح الشعرى ، وأيضاً لا نستطيع أن ننسب ريادة الشعر المسرحى إلى غيرهما .

الأمر الغريب الذى تفشى هذه الأيام هو كتابة المسرحيات النثرية ونسبتها إلى الشعر ، نحن نرحب بهذه المسرحيات الفصيحة البليغة المكثفة الصورة فهى خير ألف مرة من الكتابة بالعامية غير المقروءة ، ولكن الإعتراض على أنها مسرحيات شعرية ، فالقارىء الدارس أو المتذوق لا يحس وهو يقرأ هذه المسرحيات بأنها مسرحيات شعرية .

يقول عزيز أباظة : ص ٣٦ من الكتاب ، وأفهم الشعر

كذلك على أنه معنى جميل ولفظ أجمل يتلابسان فى أعطاف موسيقى رقيقة أو دسمة ، ولكنها موسيقى لا غنى عنها ، وإلا فلا شعر .

ولعل المؤلفين الفاضلين المرسى جبر وسمير كرم فريد أرادا التدليل على حب الشاعر الكبير عزيز أباظه لموسيقى الخليل فاختارا بعض النماذج المطولة من أعماله الشعرية لقصيدته فى بشارة الخورى التى بلغت نصوصها فى الكتاب ما يقرب من ستة عشر صفحة بالحجم الكبير .

وربما وكان من المفروض التركيز على المسرح الشعرى بطريقة فيها من الحبك والربط والصياغة الأسلوبية الكاتبين الفاضلين ءايشعرنا بهذا المهندس الذى عبد وأضاء طريق المسرح الشعرى — كما يقول النقاد — بعد أن شقه شوقى ، وهو النعه يحترم قلة فتخصص فيها أجاد .

ثروت أباظة

الأديب النبيل

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » خير ما نبدأ به آية من كتاب الله يحبها أستاذنا ثروت أباظة ، فهو فى أعماقه القرآن حتى فى عناوين رواياته وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً (رواية طـــائر فى العنق) .

ثم نتحدث فى أستاذنا ثروت : الرجولة فيه ، والأدب بلا رجولة لا قيمة له ، وثروت أباظة رجل بكل معانى الكلمة . الأدب عنده ، وثروت أباظة أديب موهوب منذ الصغر ، ويملك كل أدوات التعبير الأدبى ، التى ملكها فى الماضى فحول الأدباء والشعراء ، فهو الآن معلم للأدباء لا نظير له فى امتلاك أدوات الكتابة بين أجيالنا ، وهو كاتب أغبطه شخصيا كيف يجد ٤٨ ساعة فى اليوم لكى ينجز كل هذه الروايات الطويلة جداً ، فهو على موعد مع الكتابة لا يفرغ أبداً ، وكل لفظ فى قوة الجبال

متانة ، ودلونى أيها الأحباب على أديب أو شاعر فى زماننا يحفظ من الشعر الجيد ما يحفظه ثروت أباظة الآن .

وكان من المشهورين بحفظ الشعر قبل ذلك إبراهيم دسوقى باشا أباظة والدكتورة زكى مبارك ، ولكن الآن من غير ثروت : ثروة الشعر العربى والأدب العربى الحديث والمعاصر ، لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى والإسلامى .

وثروت أباظة منذ ظهور أول رواية له (١) وهى : (ابن عمار) إلى رواية (أحلام فى الظهيرة) التى سوف نركز عليها أكثر ، وهو ملتزم بالتراث ، معبر عن قضايا مجتمعه بصدق ، لا يجامل ولا ينافق ولا يخادع ، ولا يسعى لغرض ولا ينحنى من أجل مصلحة زائلة ، بل يدافع عن الحق ويسعى لهدف مشروع يعمق به قيم المجتمع العليا بلغة لا يملكها غيره : شعرا ونثرا وبلاغة عربية ، حتى عند استعماله الضرورة لغة دارجة فهو يضعها فى مكانها الذى لا بد منه بلا تزيد ولا إفتعال — وسوف ترى مثالا لذلك من بعض رواياته — أحلام فى الظهيرة .

---

(١) فى أول سنة ١٩٤٤ م ١٥ رواية ، ٢ مسرحية ، ٩ مجموعات قصصية ، ٥ كتب بحوث أدبية ، ٤ كتب مترجمة ، ٦ كتب عن حياته وأعماله .

فقليل هم الرجال الحقيقيون ، الذين لا يهابون فى الحق أحداً ، وأقل منهم أولئك الرجال الذين يؤثرون فى مجتمعاتهم فيغيرونها إلى الأفضل .. بأدبهم وعلمهم وأخلاقهم وسلوكهم .

وثروت أباظة كل هؤلاء . فالرجل فى لغته التى يستعملها فى كتاباته وقصصه معلم لغيره . والرجل فى أسلوبه الأدبى مهذب الطباع ، والرجل فى خلقه قدوة . والرجل فى انسانيته مطبوع على الشهامة . وهو رجل حقيق لا يغتر بذكر ما فيه من سجية وصفات .

ونحن نملك من الشجاعة أن نعبر عما نكنه من حب وتقدير خفى . فكما نبغض علنا ينبغى أن نحب علنا . وأنا هنا لا أتحدث عن كل ثروت أباظة فى مؤلفاته ، ولكن لم أستطع حبا فى التعبير عن خواطرى عند قراءة عمله الجديد : أحلام فى الظهيرة . فقد تأثرت فيها بكل مايقدم من أوصاف . وهذا هو الأدب الهادف .

ومن هنا نقول إن ثروت أباظة قد نجح فى تأدية رسالته الإجتماعية التى خلق من أجلها فهو مدفوع بتأثير موهبته التى امتلكت كل أدوات التعبير ، اللغوى والموضوعى والنفسى والتجربة الإجتماعية والحوار المتدفق الكثيف الراقى ، ولكى

أستشهد من واقع العمل فلا بد للقارىء من قراءته حتى يعيش ما أقول ، ولكن أشير إلى عبارات قصيره مثل : كانت الشمس ساخطة على الأرض تكويها بشواظ لاهب من النار .

جاءت هذه العبارة وهو يصف الجو الحار الذى كان سائداً فى ذلك اليوم ، ولكن وأنت تقرأ هذه العبارة سوف تحس بطريقة غير مباشرة أنها متطابقة تماماً مع الجو النفسى الذى يعيشه وهدان فى داخل العمل الفنى . وأنا لا أستطيع أن أعلق بكلام من عندى على هذا الحوار الذى أجراه ثروت أباظة بين وهدان الفارس البسيط الشهم ابن مصر الحقيقى للذى لا يطغى ولا يتكبر إذا أقبلت عليه الحياة وبين سليمان العزيز الذى ذل وأجبرته الظروف أن يعرض أرضه للبيع يقول له وهدان — خذ هذه الفلوس — ما هذه .

ألا نتفق الأول — ولا نتفق ولا يحزنون خذ وصلى على النبي — بكم تريد الفدان — لا أريده مطلقا . . لا أريده حتى ولو بعته لى بلا ثمن — فما هذه الفلوس — دينك أذهب فسدده — ماذا تقصد ياوهدان — ماذا جرى يا سليمان أكلاب مسعورة نحن حتى نتشمم الضوائق تحيط بناسنا فنجعل منها فرصا لنا . .

لا يا سليمان لا عشنا إن كنا نفعل ذلك . . سدد دينك والتجارة يرم فى العالى ويوم فى الواطى . وإن خانك السوق مرة فصيره أن يكرمك فى المرة القادمة — أما سبحان الله . ولكننا لسنا أصدقاء ـ معارف . وأولاد بلد واحدة ووشنا فى وش بعضنا البعض العمر كله . وأنا كنت سأشترى بضعة أفدنة هذا العام بهذا المال الفائض عندى فماذى يجرى إذا أجلنا الشراء إلى العام القادم .

وصاح سليمان من الفرحة وكأنه يرى سحر لا يصنعه أحد من أبناء الأرض ـ أهـــذا معقول ـ غير هذا الذى لا يعقل . . توكل على الله .

أما المثال الثانى فهو من بحوثه الأدبية وتأخذ مثالا على ذلك كتاب : السرد القصصى فى القرآن الكريم والكتاب يقدم ملامح من قصص القرآن الكريم ، وهو قصص صاغها الله سبحانه وتعالى ، وهناك قصص حديثه للقصاصين والروائيين وبقراءة هذه القصص نجد أن ما وصل إليه الفن القصصى هو النسق الذى سار عليه السرد فى القرآن الكريم فكيف غاب عن نقادنا أن ينتبهوا إلى هذه الفنية فى السرد القصصى فى القرآن الكريم .

فلو نظرنا إلى العرض الفنى فى القصص القرآنى لوجدنا عجباً ، ولا عجب فإنه تنزيل من السماء ، وإنما العجب هنا من الإعجاب .

إن العرض القصصى فى القرآن الكريم يتمشى مع أحدث ما وصل إليه الفن القصصى . وحتى نستطيع أن نتصور هذا دعونا ـ والكلام ما زال للأستاذ ثروت أباظه ـ دعونا نلقى نظرة على قصته تطالعنا فى سورة الأعراف :

بسم الله الرحمن الرحيم : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين . قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين » .

أرأيت كيف قدم القرآن قصة نوح جميعها فى هذه الأسطر

القلائل . ثم أرأيت كيف روى قصة الطوفان فى كلمات لا تكاد تزيد على العشر ، فهو لم ير داعياً أن يروى القصة جميعها وهى واردة فى سور أخرى . وهكذا ألمح إليها فأجملها إجمالا . . إن الروعة هنا فى اختيار الكلمة المؤدية لا تستطيع كلمة غيرها أن تحل محلها ، وكأن الكلمة هنا قد خلقت لتكون هنا أولا ، ثم لتؤدى بعد ذلك ما تشاء من وظائف .

ثم أنظر كيف انتقل بعد ذلك مباشرة من قصة إلى قصة أخرى فى روعة عجيبة ، ثم فتبين رأى الكاتب فى أسلوب التشويق فى القرآن الكريم بصفة عامة وترى ذلك فى قصة يوسف . فالقرآن فى هذه السورة يصارح بأنه يقص القصص (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هـذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) فالقرآن إذن يقص القصص ليصحو الغافل وما أعظم ذلك بعد هـــذه الآية : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحـــد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) .

فهنا نجد أن القرآن الكريم قد استعمل أسلوب التمهيد

فى القصة حتى لا يفاجىء المتلقى بالحدث . وهـــذا هو فن القصة الحديثة .

والحقيقة هى أن الذين أنشأوا فن القصة فى الغرب قرأوا القرآن وتعمموا منه وحتى إذا تركنا السرد ونظرنا إلى الألفاظ وكيف هى مطمئنة فى مكانها نهدد فترجف الأفئدة . وتهلع النفوس ، وتسارع إلى مغفرة من ربها عسى أن يهديها إلى صراط مستقيم .

وقد عرض لنا كتاب السرد القصصى فى القرآن الكريم للأستاذ ثرت أباظه الكثير من إعجاز القرآن الكريم فقدم لنا جاذبية التشويق فى قصة الخليل ، ودقة التبسيط فى قصة يوسف ، وفن الجاذبية فى قصة سليمان ، والإعجاز فى قصة مريم ، والثواب والعقاب فى قصة آدم ، والإعجاز الفنى فى قصة يونس ، والسمو الفنى فى قصة لوط .

والمؤلف فى كل هذا يندهش من نقادنا ويعجب كل العجب من القول بأن فن القصة بدأ فى الغرب ويسأل : لماذا لم يلتفت النقاد لديننا وتراثنا ؟ ويعود فيجزم بأن الذين أنشأوا فن القصة فى الغرب قرأوا القرآن الكريم وتعلموه ثم بدأوا يكتبون القصة ، وهيهات أن يصلوا إلى السرد القصصى فى القرآن الكريم ، هيهات أن يصلوا إلى إعجاز القرآن .

زكى مبارك

الصــــدق والمعـانا ه

(١) ينبغى أن نلفت نظر الباحثين لدراسة النقاط التالية :

١ - طفل يبحث عن نفسه .

٢ - تلميذ فى كتاب القرية .

٣ - تفتح عاطفته الريفية على وجه طفلة جميلة .

٤ - موهبته الشعرية وتتبعه للشعراء .

٥ - دور أبيه فى بداية حياته وتأثره بالتصوف .

٦ - إستعداده وإعداده لدخوله الأزهر .

٧ - بداية حضوره حلقات الدراسة فى الأزهر .

٨ - إعجاب الشيخ المرصفى به واهتمامه .

٩ - زكى مبارك شاعر الأزهر .

١٠ - فوزه كشاعر فى مسابقة السلطان حسين بين الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى .

١١ - دخوله جامعة فؤاد وتعلمه للغة الفرنسية ومواقفه فى إصلاح الأزهر .

١٢ - خطيب الثورة سنة ١٩ بالفرنسية .

١٣ - كتابته فى الصحف فى تلك الفترة وظهوره كأديب وشاعر .

١٤ - ثورة ١٩ واشتراكه فيها كخطيب بالفرنسية .

١٥ - اعتقاله وما حدث له وما كتبه فى المعتقل .

١٦ - خروجه من المعتقل بعد محاولات معه بترك الوطنية ورفضه .

١٧ - حصوله على الليسانس فى الآداب .

١٨ - تحضيره الدكتوراه عند الغزالى .

١٩ - ما حدث منه فى مناقشة دكتوراه الغزالى من مواقف .

٢٠ - آراؤه الجديدة وتنقية البحث من المعتقدات الخطأ .

٢١ - محاورات العلماء معه وعدم رضوخه وعدم التنازل عن آرائه فى التجديد .

٢٢ - إعداده للسفر لباريس لنيل دكتوراه أخرى .

٢٣ ـ سفره لباريس للدراسة وحضوره لمصر صيفاً لكسب العيش .

٢٤ ـ حنينه فى باريس لحبه القديم فى مصر ونماذج من شعره فى هذا الموضوع .

٢٥ ـ مذهبه فى الحب والعشق ومزجه بين الحب الحسى والروحى ،

٢٦ ـ ذهب إلى باريس فلاحاً وعاد فلاحاً لم يزدد إلا العلم وتمسكه بالقيم .

٢٧ ـ حصوله على رسالة الدكتوراه فى النثر الفنى وملخص قصير لآرائه فيه .

٢٨ ـ عودته لمصر واشتداد المعارك عليه وفصله من الجامعة .

٢٩ ـ استعراض لبعض فقرات من مؤلفاته بأسلوب درامى للتعريف بها .

٣٠ ـ التركيز على مواقف من صدقه وصراحته وعدم نفاقه وعدم تقبل الآخرين لذلك .

٣١ - اشتداد وطئة التناقض الإجتماعى عليه مما عجل بوفاته وتصوير موقف دراى مؤثر يحتذى به الشباب من كفاحه والإفاده من سيرته .

٢ - زكى مبارك ناقداً

نعيش هذه الأيام ذكرى الدكتور زكى مبارك ولعل من المناسب أن نشير إلى كتاب صدر عنه أوله وهو كتاب زكى مبارك ناقداً الذى قامت كريمته الوفية المذيعه كريمة زكى مبارك بجمعه والتقديم له وقد صدر عن دار الشعب وهو إلى جيل الشباب والمهتمين بالثقافة .

وعن المثقفين الذين عاصروه بأسلوب ليستفيد منه الجميع ، وهو حافل بالمعلومات والمواقف عن كبار الكتاب والمثقفين وأهم أعمالهم وأحوال المجتمع .

ومن الوفاء لمصر أن نذكر كلمة وفاء لرجل عاش مدافعاً عن الوطن صادق مع نفسه فى قوله :

ليست الثقافة أن نعرف أوهام الشرق والغرب إنما الثقافة أن نعرف ما يجب أن يعرف .

وقد آن أن يفهم الغافلون أن الأمة التى يحفظ أطفالها القرآن هى أهدى من أمثال الأمة التى يحفظ أطفالها أقاصيص لافونتين .

ولا ينبغى أن نكون معه فى ذكراه كما قال فى تقديم بعض كتبه : إلى تلك النفس التى لا يعنيها من أمرى شىء ، والتى أخلفت ما أخلفت ، ونسيت ما نسيت من العهود والتى شغلت بنعمة المال ، والجمال عما أقاسى من محنة وعذاب .

فبعض الظالمين وإن تناهى

شهى الظلم مغفور الذنوب

٣ ـ الحديث ذو شجون

ونحن نحتفل هذه الأيام بذكرى عظيم من عظماء هذه الأمة الذين أثروا فى حضارتها ورفعة شأنها ، كان أكبر تكريم لذكراه (٢٣ / ١ / ٥٢) أن يصدر له كتاب « الحديث ذو شجون » .

والدكاترة زكى مبارك لا يحتاج إلى تعريف ، ولكن الكتاب يحتاج أن يتنبه القراء إليه ليستعيدوا الأسوة فى الرجل وعصره وهو عنوان لتلك المقالات الممتعة التى كان ينشرها فى مجلة الرسالة ،

وهو مجموعة من المقالات (٦٢ مقاله) التى تطوف بنا بين شتى جوانب المجتمع والحياة : فيها العبرة والموعظة والتوجيه الأدبى والنقدى والاجتماعى .

يقول الدكتور زكى مبارك فى إحدى مقالات الكتاب .

الأدب لا يزدهر إلا إذا تحرر من جميع القيود ، الأدب هو الترجمان الصادق لجميع الغرائز الإنسانية ، ولا يجوز أن نطالب الأديب بأن يكون عبداً لزمانه وأهل زمانه ، وإنما يجب أن يسيطر الاديب على الزمان وأهل الزمان ليؤدى رسالته فى قوة وصراحة وإخلاص ، الأديب ليس جنديا يتلقى الاوامر ، وإنما هو بطل يطاع ؟

٤ ـ من الدكتور زكى مبارك

إلى الفنان محمد عبد الوهاب

بمناسبة ذكرى ميلاد الدكتور زكى مبارك فى الخامس من أغسطس سنة ١٨٩٢ ، لعل من المفيد أن نذكر الصداقة الوطيدة التى كانت تربط بين الفنان الكبير محمد عبد الوهاب والأديب الشاعر الدكتور زكى مبارك .

وإذا نحن عدنا إلى ديوان زكى مبارك الأول الذى نشر سنة ١٩٣٤ ، نجد زكى مبارك يتحدث عن هذه الصداقة « بل ينظم قصيدة أيضا فى الموسيقار محمد عبدالوهاب فيقول تحت عنوان :

إلى الفنان محمد عبد الوهاب

قضى الفنان محمد عبد الوهاب أشهر الصيف فى باريس هذا العام سنة ١٩٣٣ بمناسبة إخراج فيلم الوردة البيضاء ، فرأى الشرقيون المقيمون فى باريس أن يقيموا له حفلة تكريم ، وكان صاحب الديوان من أعضاء لجنة الاحتفال ثم قضت ظروف بالتبكير فى العودة إلى مصر ، فقال الأبيات الآتية وهو يودع باريس ويعانى لوعة الحرمان من رؤية صديقه الفنان :

يا أمير الغناء يفديك روحى

من صروف الهوى وجور الغرام

أذبلت عودك الصبابة حتى

عدت مثل الخيال فى الأحلام

وغدا صوتك القوى أنينا

باكى اللحن شاكى الأنغام

خذ دموعى فنح بها يا حبيبا

ذاب من قسوة الجوى والهيام

* * *

صدنى عن لقاك فيض حنينى

لبلاد النخيــــل والإلهام

قد دعتنى مصر فطار صوابى

وتنـــاسيت ملهمى وإمامى

وتجاهلت واجبى يوم تـكريـ

مك بين الأماثل الأعلام

أنا بالروح والفؤاد صفى

فتقبـــل تحيتى وسلامى

* * *

وسوف تخلد هذه القصيدة العملاقين الـكبيرين إلى الأبد .

٥ ـ اللغة والدين والتقاليد

كتاب : اللغة والدين والتقاليد للدكتور العالم الفاضل والأديب زكى مبارك ، يقول فى إهدائه : إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، أهدى هذه الصحائف تحية من رجل يضمر له أصدق الود ويعرف فضله فى إعزاز اللغة والدين وحمود التقاليد .

ثم يقول زكى مبارك : الدين واللغة والعادات والتقاليد من الظواهر التى يتصل بعضها ببعض أشد الإتصال ، ومن المناسب قبل الاسترسال فى سرد محتويات الكتاب أن نعرف أن الدكتور العالم زكى مبارك ولد فى سنة ١٨٩٢ بقرية سنتريس منوفيه ، ثم إلتحق بالأزهر الشريف فى سن صغير .

إشترك فى ثورة سنة ١٩١٩ وكان من أبرز خطبائها ، حصل على الدكتوراه الأولى فى سنة ١٩٢٤ من الجامعة المصرية عن موضوع « الأخلاق عند الغزالى » حصل على الدكتوراه الثانية سنة ١٩٣١ من جامعة السربون بفرنسا عن موضوع « النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى » حصل على الدكتوراه الثالثة سنة ١٩٣٧ من الجامعه المصرية عن موضوع « التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق » .

ومن مؤلفاته الإسلامية أيضاً « بين آدم وحواء » ثم حقق كتاب « الأم للإمام الشافعى » بجانب مؤلفاته الاخرى التى تزيد عن الثلاثين كتاب ، قبل أن يتوفى فى سنة ١٩٥٢ ، بعد أن تكلم فى شتى مجالات الدين والفكر والحياة .

وكان يمتاز فى كتابته بالصدق والصراحة والوضوح ، فهو لم يتزلف لاحد على حساب عقيدته ودينه ، ودافع عن كل ما يتعلق بالإسلام ولغة العقيدة التى هى العربية ، وكانت له مواقف مشهودة فى محاربة الزيف والنفاق .

يقول زكى مبارك : الأمم القوية لم تحارب غير الدين المزيف ، ونحن إذا حللنا هذه العبارة ، للدكتور زكى مبارك نجد أن نظارته إلى الدين تغوص فى جوهر الاشياء ، وليس فى مظاهرها ، فهو لا يعنيه من التدين مظاهره ، وإنما التطبيق والسلوك ، التطبيق للدين والسلوك للمنتمين إليه ، ومن هنا نجده يقول : الدين المزيف بلاء يصيب التأخر على الأمم والشعوب لأنه يمنح الكسالى والعاطلين سلطاناً خطراً ليشل حركة التقدم والنهوض ، أما الدين الصحيح فهو ثروة قومية يجب أن يحرص على تنميتها سياسة الشعوب ، وهو حين يقوى يصبح من أدق الموازين فى ضمائر الافراد ، ويغنى

الدولة غنى لا يعرف قيمته إلا من عرف ما للخلق القويم من أثر حميد.

والدكتور العالم زكى مبارك يؤمن إيماناً راسخاً بأن الدين إذا تغلغل فى القلوب فسوف يمنع كثيرا من المجازر البشرية التى يخلقها الدس والإغتياب، وشهود الزور.

ومن عباراته المشهورة قوله : لو كان للدين سلطان على أرواح الناس لما رأينا شهود الزور يضللون القضاء بلا حياء، إذهب إلى أية محكمة واحضر جلسة أو جلستين، فإن فعلت فسترى القاضى ينفق أربعة أخماس جهده فى فحص المستندات، واستجواب الشهود، أكان يحتاج القاضى إلى ذلك كله لو كان للناس وازع من خلق ودين، وهو يتكلم عن الحق الضائع، وكيف أن علاقات الناس لا تقوم على أساس أن هذا حق، وهـذا باطل، وإنما تقوم علاقاتهم على أساس المنفعة والمصلحة، وهم لا يتخاصمون إلا من أجل ذلك، يقول : إنك لا تستطيع اليوم أن تعادى أحداً فى سبيل الحق، لأن الدنيا انقلبت إلى مطامع يترفع عنها الحيوان، أترونى أظلم قومى؟ أنا لا أظلمهم، وإنما أشرح بنية إجتماعية، يشكو منها أحرار الرجال، ولو كان الناس يؤمنون بأن الله يعلم

ما يضمرون ، وما يعلنون ، لكف قوم عن إيذاء قوم ، وتورع فريق عن الإضرار بفريق .

والدين في فكر زكي مبارك هو الدين الذي يهتم أهله أولا وقبل كل شيء بالفضائل الإيجابية فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، هو الدين المضمخ بالنفحات الشعورية ، الذي يوجب عليك أن تفرح لفرح أخيك ، وأن تحزن لحزنه ، هو الدين الذي صوره الشاعر شوقي حين قال :

مقدونيا .. والمسلمون عشيرة

كيف الخؤولة فيك والأعمام ؟

ولقد كان العالم الدكتور زكي مبارك يمقت الرياء والمرائين ، ويعتبرهم باباً إلى الخراب ، لأن الرياء يوحي إليهم بأن المراوغة لباقة وذكاء ، وقد حمل على الذين يعتبرون أن الصراحة خلق بغيض . وأن النفاق يسمو بصاحبه أحياناً إلى أرفع الدرجات ، وقد كان من رأي الدكتور زكي مبارك أن الدين الحق يعصم من الشقاق ، ومن انقسام الناس إلى شيع وأحزاب ، ولقد كان يؤمن بأن الدين يخلق الشجاعة في النفوس .

يقول : لولا الإيمان بعدل الله ورحمته لهدمت عزائم وتحطمت قلوب ، وانطفأت أرواح .

وزكى مبارك يقول لنا : بأن اللغة تخضع فى بعض ألوانها للدين والعادات ، وقد يكون فى صورها القديمة ما يؤثر فى الدين والتقاليد ، وهذه الظواهر الثلاثة تبدو مختلفة بعض الاختلاف ، ولكنها عند التأمل ترجع إلى أصل واحد هو التعبير عن الخلائق الأدبية ، فاللغة مظهر من مظاهر الأناقة والدقة والإفصاح ، والدين صورة العقيدة التى يحيا بها الناس ، والعادات مظاهر لما تأصل من كريم الشمائل وللجلال ، فالإنسان المهذب تقوم حياته الادبية على لسان فصيح ، ودين حق وعادات كريمة تصل بينه وبين الأقربين من إخوانه فى الوطنية ، وقد تسمو فتصل بينه وبين الأبعدين من إخوانه فى الإنسانية ، فاللغة فى ذاتها شخصية استقلالية ، فالذى يعبر بلغته يشعر بالقوة ، وتنطبع نفسه على الكرامة والإستقلال .

ثم يقول العالم الدكتور زكى مبارك : إن الدين الحق يوصى بدفن الضغائن والحقود ، والناس لا يستطيعون التعاون على بناء الوطن إلا إن استطاعوا التعاون على بناء الإخاء ، الدين السمح

الكريم الذى تغنى به الرسل والأنبياء ، فانظر أين أنت من إسعاد قومك ، فإن كنت رجلا يفرح لفرح عدوه فأنت امرؤ فيك دين وخلق ، وإن كنت لا تفكر إلا فى نفسك وفى أشيائك فأنت من العصبة الوحشية التى أطال فى ذمها الحكماء .

ثم يوصينا زكى مبارك بأن نحذر المنافقين ، لأن النفاق خليق بأن يأتى على بناء الوطن من القواعد وعدم الإصغاء إلى كل مشاء بنميم ، ثم يوصى بالحذر من مرضى الحذلقة والمراءاة وافتعال النزاهة والإخلاص ، أوصى بالفرار من كل مخلوق لا يضحك إلا حين يبكى الناس ، ولا يفرح إلا يوم يحزنون .

ثم يقول زكى مبارك : إن الدين قوة معنوية وروحية تضمن سلامة الوطن من الوجهة الداخلية ، فإذا تحابوا وتعاطفوا وتآلفوا كانوا قوة هائلة ، شبيهة بالأعضاء القوية فى الجسم السليم .

٦ — التصوف الإسلامى
عنـــد زكى مبارك

« الدراسات الفلسفية لا تقوى ولا تجود إلا إن سلمت سلامة تامة من الرياء وتخوف العواقب » .

فى هذه العبارة تكمن شخصية الدكتور زكى مبارك ، والذين يرون أن زكى مبارك كانت له آراء متطرفة لم يفهموا شخصيته وتعاملوا معه بسذاجة فى الوقت الذى كان هو فيه يفهم نفسه على حقيقتها ويفهمهم أيضاً على حقيقتهم « أولئك الكسالى الظرفاء الذين حرمهم الله نعمة البلاء » .

فزكى مبارك كان يعتبر الصوفية من أقطاب الحرية الفكرية فحاربة هذه الحرية باسم الغيرة عليهم خطأ لا يقع فيه رجل حصيف . وما سبب إصرار زكى مبارك على نيل أكثر من درجة دكتوراه من الشرق والغرب إلا لكى تسلم له تلك الأصوات الجوفاء بريادته فى البحث والتسليم له بآرائه ، ليتمكن من إثبات نظرياته بدون شوشرة وتثبيط . ومن هنا كان يردد : اللهم إنى أعوذ بك أن أقول قولا حقاً فيه رضاك » .

ألتمس به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ، وأعوذ بك ان أكون عبرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتني مني »

ويستدل الدكتور زكي مبارك على التصوف السياسي بقوة العقيدة السياسية عند الخوارج ، فالخوارج في حقيقة الأمر سياسيون ، ولكنهم في صدقهم وصلوا إلى أبعد غايات التصوف ، ولهم أخبار هي نهاية النهايات في الروحانية .

وهو يضرب مثلا على ذلك بقوة صدق « مرداس » وقد حبسه عبيد الله فيمن حبس من الخوارج ، فرأى صاحب السجن شدة اجتهاد مرداس ، وحلاوة منطقه ، فقال له إني لأرى لك مذهبا حسنا ، وإني لأحب أن أوليك معروفا ، أفرأيت إن تركتك تنصرف إلى بيتك أترجع إلي ؟ قال نعم ، فكان يتركه كل ليلة يخرج ويرجع إليه في الصباح ، ولما لج عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم ، وعلم مرداس بالخبر وهو خارج السجن تهيأ للرجوع فقال له أهله : اتق الله في نفسك فإنك إن رجعت قتلت فقال : إني ما كنت لألقى الله غادرا ، ورجع إلى السجان قائلا له : إني قد علمت ما عزم عليه صاحبك — يقصد عبيد الله — فقال

له السجان أعلنت ورجعت ! ! فقد رجع وهو يعلم أن مصيره الموت ليفي بوعده مع السجان ، والخوارج تضرب بهم الأمثال فى قوة العقيدة وصحة الدين ، وقد يكون تصوفهم راجعا إلى هذه الناحية ، ولكنا نرى التصوف فى مذهبهم السياسى قبل أن نراه فى عقيدتهم الدينية ، وكذلك نقول فيمن تشيعوا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب وقدموه على سائر الخلفاء منهم فى حقيقة الأمر سياسيون ، وصدق أولئك وهؤلاء فى الثبات على مبادئهم السياسية هو نفحة من التصوف وذلك الصدق هو الذى سجل أخبارهم على جبين الزمان .

وفى رأى الدكتور زكى مبارك أن التصوف نزعة روحية يحسها الأغنياء كما يحسها الفقراء ، ويدركها الفاجر كما يدركها العفيف ، وكم لفتة من لفتات الصدق تقع من رجل معروف بالطيش هى أقرب إلى التصوف والروحانية من أعمال كثير من المرائين الذين يلبسون مسوح الرهبان ، ويضمرون غرائز اللئام ، واقرأ معى هذه اللفتة فى أدب الدعاء البعيدة عن الرياء :

اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطت إليه بسعة رزقك ، واحتجبت

فيه عن الناس بسترك ، واتكلت فيه على أناتك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك ، ولهم من حسن التصرف والكياسة هذه اللفتة التى تدل على الذكاء ، كان فتى يجالس سفيان الثورى ولا يتكلم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمر به يوما . فقال له يافتى إن من كان قبلنا مروا على خيل ، وبقينا على حمير دبرة، فقال الفتى : يا أبا عبيدالله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم »

وقد حول الصوفية بذكاء النوازع الحسية إلى عواطف روحية ، وقد أخذوا « ليلى » من المجنون فصيروها رمزا لمن يناجون فى عالم الأرواح ، والصلة قريبة بين عالم الحس وعالم الروح عند من ينظرون بعيون القلوب :

أسيء بنا أو أحسنى لا ملومة
لدينا ولا مقلية إن تقلت

ولو لم يكن هذا التصوف السياسى ، هل كان يخرج الإمام الحسين وهو فى هذا العدد القليل مع علمه بقوة خصمه ، وانعدام المقارنة ، ولكنه كان يطبق مذهبا سياسيا فى التصوف ، وهو أن يكون للظالم خصما وللمظلوم عونا ؟

أشواق الحياة

للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

يقول الناقد الدكتور عبد العزيز شرف فى تصدير الديوان : الدكتور خفاجى لم يكتب الشعر إلا لتحقيق رسالته الإنسانية التى كرس لها كل طاقاته ومواهبه الإبداعية والفكرية التى سخرها الله تبارك وتعالى بقلمه ، فجاء هذا الشعر معبراً عن رسالته فى مجملها ، وعن فكره الذى تحفل به مؤلفاته العديدة فى الإسلاميات والأدب والنقد والتاريخ .

ويذكر أستاذنا الجليل الدكتور خفاجى أنه فى سنة ١٩٣٦ صدر له ديوانه الأول « وحى العاطفة » ، وقدم له الكاتب الوطنى توفيق دياب ، صاحب جريدة الجهاد ، وسنة ١٩٣٦ هى تاريخ ميلادى أنا .

وفى سنة ١٩٨٥ كتب الدكتور خفاجى مقدمة ديوانى الثانى « بقايا من ضياع » ، ورضيت بحكمه على بعد أن عرف بى القراء فى ديوانى الأول « الحب والسلام » سنة ١٩٧٩ .

وما هى الأجيال تتواصل وأقوم أنا بالكلام عن الأستاذ الذى يشهد الله أنى لم أستطع إحصاء كل مؤلفاته ، ولعل تواضع العالم فيه هو الذى شجعنى على الكتابة عنه وأنا أعلم أنه سوف ينهرنى إذا جانبت الحقيقة وكمدخل إلى موهبة الشاعر الكبير محمد عبد المنعم خفاجى أقول . إن كتابة قصيدة الشعر عنده إذا تهيأ للكتابة أسهل وأسرع من كتابة مقال يعد له غيره العدة ، ولعل هذا بسبب ما توافر له من قوة فى الموهبة والدراسة والتمكن من الأدوات الفنية كأستاذ لأساتذة النقد فى هذه الأمور، ومن هنا كانت معظم قصائده المطولة فى هذا الديوان الذى يزيد على ثلاثمائة صفحة بالحجم الكبير ويضم ما يقرب من مائة وخمس وسبعين قصيدة .

يقول فى قصيدة : أيام وأحلام ص ١٨

مضت السنون ومرت الأيام

مرت كأن طيوفها أحلام

وليسمح لى الأستاذ أن أحرضه من الجانب الذى لا يعرفه القارىء ونستمع إلى أبيات له من قصيدة : الوداع الأخير ص ٢٥ .

أو أنسى . إنـــنى لست أنسى
ماضيـاً أشرق فى الروح شمسـاً
عشت فيـــه ثم ولى وأمس
كحديث خافت ضـــاع همساً

ولنستمع إلى هذه القافية الصعبة التى أتته طائعة فى قصيدة السراب ص ٢٥ لتذكرنا بقوافى ابن الفارض :

وى لأمـس ولأيامى وى
والبـلى ونهارى العبقرى
المنى كل المـنى قـد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتى
وبقايا الحلم كانت بيدى
أين ما كان قريباً بيدى ؟
أين أمس الصفو ولى ومضى
ثم أبقى لى الأسى فى وجنتى
والرؤى أضحت خيالا ودجى
بعد ما كانت فى ناظرى

أى شىء منه هوانا فى يدى
يا أحباء حياتى أى شىء

نفر الغيد لمرأى الشيب فى
هامتى فى لمتى فى عارضى

المغانى والغوانى والمنى
أنا منهن غريب أجنبى

وطبيعة الشاعر فيه لا تفارقه مهما بدا راضياً بما حقق من أمجادفى تربية الأجيال فإن إنفعالات الشاعر وتأملاته فى ماهية الكون والحياة تطل براسها فى معظم أشعاره يقول فى قصيدة الفكر الباسم ص ٣٣ .

فى حاضرى أبنى الغدا وتخذته لى موعدا
وذكرت أيامى وأحلامى التى ذهبت سدى .

والوفاء صفة من صفات الشاعر الكبير ومن هنا نجد الشاعر الخفاجى وفيا لإسلامه ولغته وعروبته وأصدقائه ومن هذا اللون قصيدته عن الشاعر الكبير عزيز أباظه التى يقول فيها:

عشت للمجد والسؤدد شامخاً فى رفعة الفرقد

عشت ما عشت نبيل السجايا
طاهر الذيل كريم اليـــد

ومن هذا المنطلق أيضاً قصائده الصادقة المشبوبة العاطفة بهذا اللون المسيطر عليه حنين وعميق الإسلاميات عن العقاد إذ يقول فى قصيدة : أسوان والمعجزة ص ٧٩ .

عجبت للنيل يعفو عن مسيئيه
وروحه السمح بالحسنى تناديه
إن لم تمج بكنوز النفط تربته
فالله عن كل تبر الأرض يغنيه
أسوان والنيل والعقاد معجزة
المجد تربط تاليه بماضيه

وهو يقول فى صديق روحه الناقد الموهوب الشاعر مصطفى عبد اللطيف السوقى :

عاش حراً ومات حرا شجاعا
قوله الدر خالصاً والجمـــان
كنت نجماً أضاء عصر كبيرا
لكن العصر خلفه الكفران

أما قصيدته التى عنوانها وطن النجوم ص ١٢٥ والتى كتبها فى تكريم أديبنا ورائدنا الكبير ثروت أباظة فهى مثال للوفاء والحب والقيم لأن ثروت أباظه رمز للتمسك بالأدب العربى والإسلامى ويا حبذا لو كان كل تطوير فى جميع مجالات الأدب والفنون والشعر بالأخص من داخل الإطار العربى حتى يكون مميزاً ، وإلا ما فائدة التطوير من داخل آداب أمة أخرى ، إن هذا ليس وجهنا ، وبالتالى لا يكسبنا العالمية وإنما هو إضافة لغيرنا يقول الخفاجى فى قصيدته عن ثروت أباظه :

والسحر من سحبان يفتن كل من لم يفتن

ويجىء ثروت مبدعا رمقته كل الأعين

لا ينثنى عن حب مصر ومجدها لا ينثنى

وبعد يقول الشاعر الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى ديوانه أشواق الحياه ص ١٠٨ !

ستظل أشواق الحياة تهزنى

فأعانق الأشواق فى إعظام

هيهات تضنينى الجراح وما إنحنيت

بيت على العواصف وسط كل زحام

الشاعر : إبراهيم صبرى

ومن الشعراء المعاصرين الذين يرتبط شعرهم بالتراث ويستلهون منه نبض وجدانهم ومشاعرهم ، وتقوم ثقافتهم على مكوناته وروافده ، وينهلون منه ويتأثرون به ، يأخذون منه ويضيفون عليه ، بأسلوب يلائم العصر ويواكبه فى التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم من هؤلاء الشاعر إبراهيم صبرى وشعره ينطبق على شخصيته تماما ، فهو صادق التعبير والحس فى شعره العاطفى والوطنى والدينى ، ونقرأ له هذه الأبيات من قصيدة ! إزدواج ص ٧٤ من ديوان : برق وقمر ، وهو الديوان الأول للشاعر الذى صدر سنة ٦٨ حيث يقول :

وحين أشاهد غيد الحسان
أسبح بالقلب رب الجمال
أقــول تباركت حملتنى
من الحب ما لم تطقه الجبال
فبالحب جئت ومن أجله
أعيش ويحيا جميع الرجال

وحواء بعض ومن أضلعي
ونفسي مع الحب تبغي الكمال

كلانا تكمل سير الورى
على مر تلك السنين الطوال

فإن كان حبي - كما تزعمين
حرام فماذا يكون الحلال

أجيبي السؤال ولا تعجبي
فعندك أنت جواب السؤال

وإن تك مسبحتي باليمين
فقلبي وقلبك ذات الشمال

فتأمل أسبح بالقلب رب الجمال ، وقوله ما لم تطقه الجبال ، قوله وحواء بعضي ومن أضلعي ، وقوله فماذا يكون الحلال ، وقوله ومسبحتي ، وذات الشمال ، سوف تجد أن معظم هذه الأفكار لها دلالة بالتراث الشعري وبالقرآن الكريم على وجه الخصوص ، وعلى سبيل المثال الآية :

(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) .

والشاعر إبراهيم صبرى فى قصيدته « برق وقمر » يحسم مشكلة من أعقد المشاكل الفلسفية فى الأديان عموماً ، وهى مشكلة القضاء والقدر ، وأنا أعتقد أن هذا الحسم وليد موضوع معين ، لأنه يرتبط بموقف عاطفى ، والعواطف ليست ثابتة ، وهذه القضية الشائكة محل خلاف بين العلماء والفلاسفة والكتاب ولم يصلوا فيها إلى نتيجة ، ولا أعتقد أن هذه القضية سوف تحل ، لأنها من لزوميات الحياة نفسها ، فنحن فى حاجة أن نسلم للقضاء والقدر فيما عجزنا نحن عن تحقيقه ، وأن نتهم الآخرين بأنهم السبب وليس القضاء والقدر فيما عجزوا هم عن تحقيقه لنا .

ونقرأ وجهة نظر الشاعر إبراهيم صبرى فى هذه القضية :

لا تقولى هكذا شاء القــــدر .
إنما أقدارنا من صنعنا نحن البشر
إنما أقدارنا أعمالنا فيما نشاء
لا تقولى بل قضـــاء
إنمــا قبــل القضاء
كان القلب مشيئته

وارتضى القلب الخطيئة
لا تقولى إننى منها بريئة
فقديماً أخطأت حواء أيضاً
أخطأت فى حق آدم
أخطأت فى حقنا نحن البشر
ثم قالت هكذا شاء القدر

والشاعر إبراهيم صبرى يستمر فى إستلهام التراث بطبعه حيث نجده يواصل المسيرة فى ديوانه الثانى « الغصن الثائر » الذى صدر سنة ٧٨ يقول فى قصيدة أنت حسبى ص ١٢ .

يا واعد المؤمنين نصراً
وهازما قيصراً وكسرا
سألتك الله عز مصرا
وأمة الخير إلهى
فأنت حسبى
وأنت جاهى

غير أن الشاعر فى مسيرته الشعرية مع إستلهام التراث نجد أن خطه فى الديوان الأول يختلف عن الديوان الثانى ، فالديوان الأول يغلب عليه طابع التلقائية والعفوية وعدم الصنعة والبساطة فى التعبير ، والصور غير المركبة التى تؤدى المعنى فى سهولة ويسر كما تؤديه الصور المركبة والمتداخلة المليئة بالكثافة والحركة والخلفية المتناهيه فى البعد .

وهكذا بعكس الديوان الثانى الذى تمرس فيه الشاعر على كتابة الشعر ، وفرضت الصنعة نفسها عليه وأصبح يتدخل فى إختيار بحوره وقوافيه ، وتغيير الصور بالطريقة التى يريدها هو ، فطال باعه فى القصائد ، وتداخلت صوره وتشابكت ، واتجه إلى التراث أكثر وأكثر ، أحياناً عن قصد ، وأخرى عن غير قصد ، وهو فى كل ذلك يصل إلى غرضه ونقرأ له قصيدته : السراج من الديوان الثانى « الغصن الثائر » ص ١٨ يقول :

لا يحابى مقرباً أو قريباً
فهو العدل .. قوله والقضاء
إنما أهلك الذين تولوا

عفوهم عن كبارهم إن أساءوا
وقضاء على الصغير لضعف
باء بالخسر ما قضوه وباءوا
إنما يستوى العباد حقوقا
عربى أو أعجمى سواء
ليس من فارق يميز إنسياً
غير ما ميز التقى والنقاء

عبد الله شمس الدين

الشاعر الذى مدحه الأمراء

- ولد الشاعر عبد الله شمس الدين فى ١٩٢٣/١٠/١٧ ، حفظ القرآن الكريم ، ثم إلتحق بأروقة الأزهر الشريف .
- عمل كبيراً لمصححى مطبعة السكة الحديد .
- عمل مستشاراً للمجلس الأعلى للشبان المسلمين ومقرر اللجنة الثقافية بها .
- عمل عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وعضوا بلجنة النصوص بالإذاعة .
- نظم الشعر وعمره لم يتجاوز الحادية عشر .
- أصدر ديوانه الأول « أصداء الحرية » عام ١٩٥٤
- أصدر ديوانه الثانى « وحى من النور » عام ١٩٥٩
- أصدر ديوانه الثالث « الله أكبر » عام ١٩٦٨
- ديوان « الشفق الغارب » تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة .

- أصدر الكاتب الإسلامى الكبير / عبد العليم المهدى كتابا عنه بعنوان « عبد الله شمس الدين قيثارة التوحيد » .

- حصل على وسام الفنون والآداب من الطبقه الأولى عام ١٩٥٦

- نال الطالب / مصطفى عبد القادر فريد درجة الماجستير بامتياز وكان موضوعها (عبد الله شمس الدين شاعرا) .

توفى الشاعر الكبير فى ١٣ مارس عام ١٩٧٧

عندما أتحدث عن علاقتى بالشاعر الكبير عبد الله شمس الدين ، لا بد أن أذكر بالخير زميلا له يدانيه فى عظمة الشخصية وقوة الإرادة والروح والخلق ، هو الشاعر الكبير قاسم مظهر الذى كان مثالا فى تربية نفسه ، والتى انعكست تربيته لنفسه على المحيطين به من الشعراء والمثقفين .

وقد عرفنى به الصديق الشاعر سيد بركات الذى عرفه عن طريق رائد العشيرة المحمدية فضيلة الشيخ زكى إبراهيم ، فقد كان قاسم مظهر طيب الخلق والمعشر ، ودود لين الجانب ، يألفه كل من يلقاه ويرتبط به ، وتحس وأنت معه بروح الأب وألفة الصديق .

وقد كانت هناك علاقة قوية من الحب والاحترام والتقدير تربط بين الشاعر عبد الله شمس والشاعر قاسم مظهر الذى قدمنى إليه وبدأت تكثر لقاءاتنا حتى أحسست أن عبد الله شمس الدين يقربنى منه دائما ويترك لى إدارة الندوة أحيانا بجمعية الشبان المسلمين .

وكانت لا تخلو بطاقة دعوة من إسمى فى تلك الفترة ولا أنس أنه فى ذات ليلة همس فى أذنى بعد انتهاء موعد الندوة الشهرية التى غالبا كانت تعقد مساء الاحد الاول من كل شهر بأنه يدعونى للقاء خاص مساء كل يوم إثنين فى مكتبه ، وأن هذا اللقاء لا يحضره من الادباء سواى وحضرت اللقاء فوجدت بعض الاصدقاء المقربين منه وكلهم بالفعل من غير الادباء ، وكان هذا اللقاء يعتبر لقاء روحيا لا يتخلله إلا ذكر الله وكل ما هو حسن من الشعر الروحى والاخوة فى الله ، وقد استمرت هذه اللقاءات الاسبوعيه فى نفس الموعد ، ونفس المكان الذى كان يجلسنا فيه بجواره إلى أن توفاه الله إليه ولذكر الوفاة قصة :

كانت جامعة الازهر تقيم مهرجانا سنويا بإسم مهرجان الربيع الشعرى فى قاعة الجامعة الكبرى ، وكنت ضمن المدعوين إليه

سنويا وفى تلك السنة ١٩٧٧ وصلتنى الدعوة ، وفى طريقى للجامعة قابلت الشاعر الأستاذ محمود شاور ربيع وهو راجع فأخبرنى بأن المهرجان تأجل ، فرجعت معه ، وكنت ممسكا بورقة وقلم فى يدى فلمح بعض أبيات منها تقول :

لم يبق إلا الموت فى غابة الإنسان
هى لحظة أو صوت والملك للديان

لم يبق إلا المـــوت

يا كل أشعارى حى القضا فينا
غـــنى بأوتارى لحنـــا يعزينا

لم يبق إلا المـــوت
إلخ القصيدة

فقال تكتب قصيدة عن عبد الله شمس الدين فتوقفت عن المشى مذهولا وأنا أنظر إليه ليوضح ماذا يقصد فقال يرحمه الله مات بالأمس قالها وهو لا يعلم أنى بالأمس كنت أنتظره حسب الموعد الذى كان بيننا ولم يحضر على غير العادة فانصرفت من جمعية الشبان المسلمين ، وأنا لا أدرى أنه فى نفس موعدنا كان على موعد آخر مع من يحبه أكثر منى ... مع الله .

وبعد انصرافى بدأت كتابة هذه القصيدة وكنت لا أدرى لماذا أكتبها إلا بعد أن نبهنى إليها الشاعر الكبير محمود شاور ربيع ، فذهبت من فورى إلى جمعية الشبان المسلمين فأحسست أن كل شيء قد تغير فانصرفت وأنا أكتب فى هذه الأبيات :

مالى حضرت إلى المكان فلم أجد
غير الوجوم ودمعة المحزون
مات الذى غنى الوجود بشعره
واليوم يبكى الشعر فى التلحين
وأصابنى حزن تلظى فى الحشى
ولذا أقمت بداخلى تأبينى

* * *

يا من عقدت مع الفضائل موثقاً
ولزمت صمتاً فى الهوى المكنون
أرجعت أيام الجلال إلى الحمى

موهوة فى روضها المأمون

وكأن صوت بلال صوتك شادياً

الله أكبر مشرق التبيين

الله أكبر صيحة أعلنتها

وبها سموت عن الهوى والدون

ورفعت رأسك عالياً فوق الدنا

أعززت نفسك بالهدى والدين

إن تضطرب فينا الأمور فإننا

حرنا وأنت على هدى ويقين

« يا هذه الدنيا أطلى واسمعى »

هذا أوان الدمع والتأبين

غربت عن الشعراء شمس شموسهم

لغروب عبد الله شمس الدين

يا من صفوت مع الإله تحببه

هذا سبيلك في رؤى المكنون
اليوم نلت من الإله رضاءه
واستمتعت برؤاك حور العين
فلك الخلود على الزمان حفرته
بصلابة في الشعر والتدوين

وأنا لا أنس للشاعر عبد الله شمس الدين يرحمه الله أنه عندما سمع مني نشيد العبور في ٦ أكتوبر ٧٣ أوصى الملحن حسن محمد حسن أن يحفظه لأطفال جمعية الشبان المسلمين واتفق معه على تحديد مواعيد لحضور الأطفال واحضر له سبورة في القاعة وكنت أحضر البروفات والأطفال يرددون في جمعية الشبان المسلمين :

صاح الجنود وكبروا الله أكبر فاعبروا
فإذا اللهيب يدمـــر كل الحصون الغادره

الله أكبر قاهره
الله أكبر أرهبت كل الطغاة وأرعبت

كم باطل قد أذهبت إن السماء لقادره
الله أكبر قاهره

الله أكبر دمرت كل الحصون وكسرت
مثل القذائف فجرت فوق الرؤس الفاجره
الله أكبر قاهره

الله أكبر قاهره للصابرين مؤازره
ترمى وتقصف ظافره كل الجيوش الغادره
الله أكبر قاهره

وإذا أردت أن تعرف فلسفته فى الحياة والوجود ، بل لا بد انك سألت نفسك وأنت تقرأ له هذا السؤال : لماذا اختار هذا الطريق فى الفكر والسلوك الصوفى ؟ هل هى الطبيعة والفطرة ؟ هل هى المعاناة ؟ هل هو العقل والفكر ؟ إقرأ له هذه الأبيات من قصيدة فى رحاب الله من ديوان الله أكبر :

آنا كنت قبلك هـــائما
متقلبا بدجى السنين

ولكم خشيت من الضياع

وكم خشيت من الجنون

حتى دخلت حمى الإله

عرفت سر الامنين

قهروا هوى الدنيا بما

عرفوه من صدق اليقين

ولأنه كان يعرف طبائع الناس ، فكان يطلب من الله دائما ألا يرفع عنهم الغطاء ، وألا يكشفهم له حتى يرى الشيطان فيهم كالملك حتى جاءه ناصح يقول له ما هكذا الحياة فكانت هذه القصيدة تحمل الرد : قصيدة : صحوة ص ٢٠٣ من ديوان الله أكبر :

كنت كالراهب وكالطفل الوديع

خالى الذهن أغنى وأعيش

أنقش الأحلام فى رمل المجوع

ثم أغفو هانئا فوق القروش

فأتى الناصح من خلف الستار
يزعج الإحساس بالطبل المخيف
أيها الشاعر قد جاء النهار
قم مع الناس وزاحم فى الصفوف

* * *

يا إله النور بارك لى الشعاع
فظلام الناس جبار الحلك
ودع الستر عليهم والقناع
لأرى الشيطان منهم كالملك

ثم ماذا يوحى البحر للشاعر ؟ البداية والنهاية ؟ الخوف اللامتناهى الخشوع والرهبة ؟ سيطرة البحر على مشاعر الإنسان بقوته وجبروته وعدم إتاحة الفرصة له للتفكير فى شىء سوى الحيرة اللامتناهيه وسلب إرادة الإنسان فى عمل شىء سوى التفكير فى ضعفه أمام هذا الجبروت الموحى بالنشأة الأولى :
قصيدة : البحر والشاعر ص ٢٠٧ من ديوان الله أكبر :

تاه فكرى وشردت نظراتى
وطوتنى الغيـــوب فى سبحانى
أيها البحر : فيك صيغ كيانى
موجه حيرى مثل ذى الموجات
مالح أنت . أفرغتك الليالى
من عيون الأحزان والحسرات
تلك روحى جرت مياه فنون
فجرتها سفائن الحادثات
ثم دغنى للملهمات المعانى
سابحات بخاطرى لاعبـــات
أحرس الحسن عندها وأغنى
بين حلم الهوى ووهم الحياة

لقد عرف عبد الله شمس الدين سر الحياة ، وأنه لا قيمة لشىء سوى حب الذات العليا ، فذاب فيها :

لقد صحبت الحياة طفلا
وقد خبرت الحياة كهلا
وقد بلوت الأنام طرا
من كل لون تخذت خلا

فما عرفت الحياة إلا وسراب وهم يمر ظلا
والكل فان . وأنت باق وفيك حبي شدا وصلى

« قصيدة : على باب الملك ص ٢١٨ من ديوان الله أكبر »

ومعظم شعر عبد الله شمس الدين عندما تفرغ من قراءة قصيدة من قصائدد تقول إن هذه أعظم قصيدة له ، وعندما تقرأ التي بعدها يدور بذهنك نفس الخاطر فلا تملك إلا أن تترك نفسك له وتنتقل معه من فكرة إلى أخرى في كل لفظ ، فهو قادر أن يجوب بك الدنيا بل وينقلك إلى عوالم أخرى غير منظورة في لفظ واحد ، وهذا هو أسلوب الشاعر الحقيقي الذي يستطيع في غير معاناة أن يعبيء اللفظ بشحنة قوية تطوى الحياة وتفردها وتخرج عنها في سهولة ويسر من غير تكلف ، جال بخاطري كل هذا وأنا اقرأ له قصيدة صلوات ص٢٤٨ من ديوان الله أكبر ، فهذه القصيدة كون وحياة وصوفية ، وشعر وتجربة شاعر وعوالم مرئية وغير مرئية !

وقلت أجاري الناس طيشا وجفوة
فأصبحت كالضليل أطوى اللياليا

ويفزع ديني في حناياي صارخا
وتخطر ياربي فيغضى حيائيه
وقد كنت في قوم تهاوت نفوسهم
ولا شيء غير الجاه يهتز عاليا
وياويل من آخى وياويل من صفا
ويا ويل من لم يحي فيهم مداجيا
تعوذت منهم يا إلهي . . جميعهم
بوجهك فارحمني وكن لي كافيا
وصن ماء وجهي . لا تدعني أريقه
لكل لئيم لا يرى السؤل غاليا
إلهي . هذا الضعف جاهي وعدتي
وحسبي أن ترضى . فألقاك راضيا
عرفتك ياربي . ببحث ونظرة
فجئتك صبا طاهر الحب خاليا
وهذي صلاتي في فؤادي أقيمها
مواكب تقديس وقد همت شاديا
عجبت لهذا العصر يختال جيله
غرورا . وما كان الغرور تساميا

أكل من استهوته فى الوهم نزوة
ورام ظهورا منكرا وتعاليا
يروح ويغدو سافر الوجـــه ملحدا
عنيدا على مكر لئيما مرائيـــا
أولئك أطفال الخيـــال تسلقوا
جبال هوام . فاستحالت مهاويا
وما ضركم لو أن الخير كنتموا
دعـــاة سلام ينشر الحب راعيـا
ويجمع شمل الناس شعبا موحدا
كريما على صدق الإخاء مصافيا

أما فى قصيدته : صلوات الخليل ص ٢٦١ من ديوان الله أكبر فأنت فى بعض أبياتها لا تستطيع أن تفرق بين صوت الشاعر وصوت صاحب الوجه الأصلى وهو الخليل عليه السلام ، وهذا يدل على أن الشاعر عندما ينفعل بموضوع لا يكتب شعر مناسبات كما يطلق ظلما على كل ما يكتب ، والصحيح أن يكون هذا الإطلاق على بعض ما ينظم من شعر فى غرض يقصده صاحبه بدون انفعال ولا تجربة فى غرض كان أو مناسبة كانت

سواء فى الحب أو الوطن أو أى تجربة ذاتية لا ينفعل بها صاحبها ، لأن كل موضوع يعتبر مناسبة للكتابة ، وهذا الإطلاق بدون تقييد يعتبر ظلما بل وخطأ ، لأن التجربة الشعرية فى الحب وهو اسمى أنواع الانفعالات يعتبر مناسبة لكتابة قصيدة .

والصحيح أن كل قصيده تكتب لغرض أو مناسبة بدون تجربة شعورية وانفعال فهو نظم وتكلف لا يستوفى مراحل التجربة الشعرية ، وهنا نجد الشاهد على رأينا فى هذه القصيدة حيث لاقت تجربة الشاعر الكبير عبد الله شمس الدين موضوعا مناسبا لعوامل تفجير الطاقة الشعورية والشعرية الكامنة فيه بالنسبة لصدق الإيمان ومعاناته فاختلط صوته مع صوت أبيه إبراهيم الخليل حتى لا تستطيع أن تميز إن كان يتحدث عن تجربته هو أو عن تجربة الخليل :

إنى أرى الله فى حسى وعاطفتى
وفى فؤادى وفى روحى وتكوينى
يا من أحس به فى كل كائنـــة
وقد تعاليت عن حدسى وتخمينى

خذنى إليك فقد كادت تضللنى
هـذى التماثيل يا ربى وتغوينى

أما فى قصيدته : دنيا السلام ص ٢٦٨ من ديوان الله أكبر فهى مثال لسكينة النفس ورضاها مع الله والناس ونفسه والكون والمحبة الإنسانية ومنها تعرف إن هذا الرجل كان واسع الأفق إنسانى النظرة ، متدين بحق ، فالمتدين الحقيق لا يعرف النظرة الضيقة وإنما يسع بقلبه العالم :

يا رب هل أنا شاعر وحدى
فأفى رحمة . وهم القساة الظلم
أنا عازف الأحلام إن هم أخفقوا
وأنا السراج إذا دجوا . وتجهموا
قلبى كما شاء الإخاء محبة
للناس . لا يقسو ولا يتبرم
وخواطرى نور لهم وهداية
وعواطفى نسم يرف عليهمو
أواه لو كان الأنام جميعهم
شعراء نطرب للحياة ونبسم

فالشعر موسيقى السماء ووحيها
وشذاته رسل السلام الرحم

لولاهم انطفأ الجمال . ومازها
للكون إشراق به يترنم

والشاعر عبد الله شمس الدين كان مثالا للشاعر المتكامل الموهبة والملكات وهو الناقد المتصف يعتبر من كبار الشعراء فى الأدب العربى والإسلامى والعالمى ، وقد كتب فى كل فنون الشعر وأجاد وهو لم يخف مشاعره كما يفعل غيره أحيانا من الشعراء غير الصادقين مع أنفسهم ، وعندما تقرأ قصيدته : يارب طال صراعى ص ٢٧٦ من ديوان الله أكبر : نجد فيها التعبير الصادق عن مشاعره فهو رغم إيمانه العميق الصادق لا يخلو من النوازع البشرية التى لم ينكرها على نفسه !

مالى أخاف المنايا رغم توحيدى
ورغم حبي لمولايا وتفريدى

السكون فى محيطات وأودية
والشمس والبدر فى آفاق السود

على صعيد سمائى شمس معرفتى
حينما تضىء فتطوى ظلمة البيد
وحين تغرب خلف الأفق يملأنى
ليل من التيه فى خوف وتشريد
وحين تعوى رياح الشك فى خلدى
تجتاحنى ظلمة تهوى بتوحيدى
يارب : طال صراعى — ما هدأت به
وفى يمينك يا ربى مقاليدى

ونحن فى هذه القصيدة نتعامل مع عبد الله شمس الدين الشاعر الصوفى والأرضى فى وقت واحد ، فهو فى نفس الابيات يقول : الكون فى محيطات وهذه لمحة صوفية ، وهو يقول فى نفس الابيات أيضاً : يارب طال صراعى وهى لمحة أرضية ، وأذكر مرة كنا معا بمكتبه وسألنى عن أخبار الشعر فأسمعته قصيدتى : بقايا من ضياع . والتى منها :

أنا مازلت فى تيه الضباب أسير فى بأس
يثور الموج فوق الموج يدفعنى إلى الغطس
وأبحر ثم أبحر تائها يبحاره الخس

فبدأ البدأ إعياء وفعل اليوم كالأمس
بقايا من ضياع خافت الأصوات والحس

وهنا قاطعنى قائلا بنص العبارة (إنث لسه ؟ هذه القصيدة سوف تحسب عليك) كان هو فى قصيدته شاعرا وكنت أنا فى قصيدتى شاعراً ، والشاعر فى أى أمة يجب أن يستمع إليه ، ولا يجب أن يحاسب .

والشاعر يكتب عندما يفرط فى الحب أو فى الكره ، وقد يكون بين من يكتب عنهم ملكا أو أميرا ، وهذا هو الشائع ، وغير الشائع أن يمدح ملك أوأمير شاعرا ولكن هذا هو ماحدث مع الشاعر عبد الله شمس الدين فقد مدحه حاكم الشارقه الأمير صقر بن سلطان القاسمى فى قصيدة بعنوان : يا شاعر الله أكبر .

والأخطر من ذلك أن الأمير صقر القاسمى يعد من كبار الشعراء والمجاهدين بآلمهم وفكرهم وصحتهم وحياتهم فى العصر الحاضر وله مجموعة من الدواوين سوف نتعرض لدراستها بطريقة مستقلة .

يقول الأمير فى مدح للشاعر عبد الله شمس الدين :

يا شاعر الله أكبر سوت لحنا ومخبر

خـــلدت فيه كفاحا   ما زال يعلو ويظهر
أرهبت كل عميـــل   على الحمى كان يؤجر
ما ردذ اللحن يوما   إلا أثار ودمر
هـــذا النشيد حسام   بالحق ما زال يشهر
قد صار رمز إنتصار   لـكل شعب تحرر
للثائرين شعار   بقوة الله يهدر
إن رددته لهاة   على عدو تقهقر
ألحانه صلوات   لها على الحق منبر

* * *

ولقد نافس الشاعر الـكبيرعبد الله شمس الدين كبار الشعراء بشعره ، وإن كانهو لم يقصدذلك ولـكن موهبته هى التى فرضت نفسها على كبار الشعراء المعاصرين له أن يستمعوا إليه ، وأن يقولوا رأيهم فى شعره كما تفرض عليهم الحقيقة والتاريخ ، ولعل من الذين استوقفهم شعر عبد الله شمس الذين من كبار الشعراء هو شاعر العربية الـكبير عزيز أباظه وعندما يبدى عزيز أباظه بشموخه وجبروته رأيا فى أحد يستمع إليه وينصت يقول فى مقدمة ديوان أصداء الحرية بعد دراسة تحليلية عن الشاعر عبدالله

شمس الدين سنة ٥٤ ، والشعر الذى بين يدى الأستاذ عبدالله شمس الدين يحدد مكانه بين هذه المدارس فى سهولة ويسر، فهو يحرص على أساليبه كما يحرص على معانيه ، ويحتفى بالصياغة ، ويتأنق فى الأداء يساعده فى ذلك ذوق عربى صميم ، صقلته قراءة واعية مستوعبة لذخائر الأدب العربى ، فى أزهى عصوره المختلفة ، حتى ذلك العصر الذى نعيش فيه ، فأنت تستطيع أن تنسبه إلى المدرسة « الشوقية » من غير عنت أو تقحم . . فصفاء الخيال ، وجمال التعبير ونقاوة الأسلوب، ودقة المعنى، وحرصه على الكريم من تقاليد الشعر ، كل هذه عنيت بها المدرسة « الشوقية » أيما عناية . .

ولم يفرط الشاعر عبد الله شمس الدين فى أن يأخذ بنصيب موفور من كل هذه الأسباب الفنية التى تجلو الصور الشعرية فى أزهى إطار .

هذا هو الشاعر عبد الله شمس الدين فى حربه وحبه ، إن صح هذا التعبير : ثائر حين تتوارد على خاطره جروح وطنه وجروح أخوته فى العروبة ، ثائراً أيضاً حين تتحرك فى أعماقه نوازع العاطفة ، ثائر حين تتأرث فيه جمرات الحب .

والأمل معقود عليه وعلى صحبة من الشعراء المرموقين أن

يحفظوا لمصر زعامتها فى الشعر العربى المعاصر على مدى الأجيال إن شاء الله .

واعتقد بعد هذا الكلام الذى حدد فيه الشاعر الكبير عزيز أباظة مدرسة عبد الله شمس الدين وموقعه فى الشعر العربى المعاصر بين مدارس الشعر المختلفة فى عصره .

فالمدرسة الأولى لونت مذاهبها التيارات الفكرية والفلسفية والكونيه التى تخاطب العقل ، وتنبثق عنه دائما ، ثم لا تلمس النفس ولا تحفل بالوجدان إلا فى نطاق مرسوم لها ، تفرض مواهبها فى مجالاته فى حيطة وحذر ، وقد تزعم هذه المدرسة العقاد العملاق وعبد الرحمن شكرى ودرجت المدرسة الثانية على سنن بين تعاون الفكر والعاطفة ، وتفاعل الوجدان والعقل ، فى رسم الصورة الشعريه وإبرازها فى إطار موشى من لمع النفس ، وومضات التفكير ، وقد تزعم هذه المدرسة مطران وناجى وأبو شادى .

أما المدرسة الثالثة التى ينتمى إليها شاعرنا الكبير عبد الله شمس الدين فقد كان على قمتها أمير الشعر العربى أحمد شوقى .

ولعل فى الإهداء الذى صدر به الشاعر عبدالله شمس الدين ديوانه « أصداء الحرية ما يدل على أنه كان شاعر البسطاء من الشعب بآلامهم وينتمى إليهم ، ولعل فى هذا الرد الكافى على فئة تدعى الثورية والتعبير عن مشاكل المجتمع بشعر لا يمت إليهم بصلة ، فالشاعر المتمكن يستطيع أن يعبر عن مشاكل مجتمعه لغة يفهمونها ويقدرونها ، يقول عبد الله شمس الدين فى إهدائه :

● إلى إخوتى الكادحين فى بقاع الأرض ، الذين خرجوا مثلى إلى الحياة بغير جاه ولا سند .

● إلى كل مناضل فى كل مكان فى سبيل الحرية ، والسلام .

● إلى إخوتى الذين لا يبيتون على حقد ولا ضغينة وقد أحسوا بالجمال فجر الرحمة فى قلوبهم ومنطقا لفنونهم .

ودفاع عبد الله شمس الدين عن البسطاء من الشعب ليس قاصرا على شعبه فقط ، يحس بآلامه وقضاياه كواحد منه عاش فى قاعه وأحس بعمق قضاياه وإنما هو يعتبر قضية الحرية، جزء من نفسه ومن فكره ، فهى تشغل كل عمل كتبه بطريقة أو بأخرى وكانت وتره الحساس الذى يعزف عليه فى كل حين . ولعل أول ديوان له وهو « أصداء الحرية » خير دليل على ذلك .

يقول فى قصيدة : جراح الشرق ص ٤٤ :

على الجراح إلتقينا يا بنى عمى
نشكو من القيد أو نشكو من الظلم

وفى الرغام شربناها معتقة
من كرمة الذل أو من كرمة الضيم

عشى تطوحنا الأيام عاتية
وكل حس عليه لعنة تهمى

وفى المحاجر أشجان مؤرقة
تستقطر الدمع بين اللحم والعظم

وفى الصدور جراح مدها زمن
من الصراع مرير صارخ الجرم

وأصبح الشرق أغلالا ومقصلة
للثائرين على الطغيان والظلم

فى كل قطر بأرض الشرق لست ترى
غير التكاثم فى الأشداق واللجم

من هم لم يحمد العقبى ومن صبروا

لم يحمدوها وعاشوا العمر بالرغم

ران الحديد على الأيدى وما انطفأت

بين القلوب متى تقتات بالرغم

ونحن لا ننسى أن الشاعر الكبير عبد الله شمس الدين هو الذى علمنا فى مصر وفى العالم العربى أن نردد دائماً كلمة « الله أكبر » فى كل معركة حامية تحيط بالمجتمع ، نحن نردد كلمة الله أكبر عند كل آذان وفى كل صلاة طوال الليل والنهار ، ولكن عبد الله شمس الدين جعلها لنا شعاراً يقول الكاتب الصحفى الأستاذ عبد العليم المهدى فى كتاب عبد الله شمس الدين ثناء التوحيد « الله أكبر » كان نشيد حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكان نشيد المعركة والنصر فى حرب رمضان . . فلم نسمع بجيش إسلامى هتف كله طوال أيام المعركة براً وبحراً وجواً بهذا الدعاء « الله أكبر » منذ غزوات النبي ﷺ سوى جيش مصر الذى جعل « الله أكبر » . سلاح النصر العظيم فى حرب رمضان على أرض سيناء .

الكاتب الكبير أحمد بهجت

١ — الحب عند الصوفية

« حين يحب الإنسان يتحول إلى حقيقة البحر » وفى هذه العبارة تكمن حقيقة المفكر المحب أحمد بهجت ، ولكن أى حب يعشق ؟

« أفضل أن تذيب الأسئلة فى خشوع مساء يترجرج موجه بالسجود . . وكان عرشه على الماء ، وهو يملك كل الأدلة ، من العلم البشرى وعلم الأنبياء وعلم الأسرار للوصول إلى قضيته بقوة الحجة التى تخرس من يهاجم ، ولم يسلك الطريق ولم يستخدم أدوات الملاحة الصحيحة « سهل أن يقف المرء على الشاطىء ويغمض عينيه ويقول : ليس هناك بحر ، ولأن هناك بحر فى الواقع فهو يحاول قبل أن يخوض فيه أن يرسم لنا صورة جميلة عن فن التصوف مستدلا على ذلك يقول فريد الدين العطار « الصوفى من إذا نطق كأن كلامه عين حالة فهو لا ينطق بشىء إلا إذا كان هو ذلك الشىء » .

وعن الفن يقول الرسام العالمى فان جوخ الذى أتى بعده بعشرة قرون « عندما أرسم زهرة ـ أصير أنا الزهرة » .

وعند هذا الحد يسرح بي الخيال وكيف أن أحداً لم يعترض على عبارة فان جوخ حتى الآن .

وعندما أقرأ قول أبي حمزه البغدادى «علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة ، وعلامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ، ويعز بعد الذل ، ويشتهر بعد الخفاء .

يسرح بي الخيال أيضاً وكيف أن هناك بعض الاعتراضات على التصوف ، وسوف نجد البعد شاسعاً بين مانراه ونسمعه وبين ما كان يطبقه الذى أخذ عنه معظم الصوفية وهو الإمام على بن أبى طالب « قال على : أن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار » .

وسوف نجد أن المفكر المحب أحمد بهجت قد غاص فى بحار الفكر والحب معاً « ذلك أن الحب يحتوى على شىء غامض يشبه السحر ، شىء يجعل للحياة مذاقا خاصاً من الإنس والبهجـة هذه

البهجة هى سطح البحر الأزرق الجميل المادى ، وليس هناك كنوز عظيمة تعيش فوق سطح المياه والصخور والمخاطر والضغط والمعاناة . . وليس أمام من يريد اكتشاف اللآلىء إلا أن يغوص نحو القاع . . ولابد لمن يريد الحقيقة أن يترك سطح البهجة الأزرق اللامع ويمضى وراء الخوف حتى يحدق فيه دون خوف » .

وهو يقول لنا إن لفظة الحب فى اللغة العربيـة تدور حول خمسة معانى :

١ — الصفاء والبياض .
٢ — العلو والظهور .
٣ — اللزوم والثبات .
٤ — الـلب .
٥ — الحفظ والإمساك .

ومن يقرأ هذا الكتاب بتعمق سوف يجد نفسه غارقا فى بحار الحب والفكر إلى الأعماق ، وسوف يكتشف أنه كان صوفياً دون أن يدرى . « وليسعد مصادفة بحتة أن معظم الصوفية شعراء وكتاب » .

٢ — فى رحاب الله

وهذا الكتاب بلغته وأسلوبه ومعانيه يحتاج إلى جهد عقلى ومعاناة ، فالحقيقة أن المسلمين فى العصر الماضى كانوا منصرفين إلى الجهاد فى سبيل الله ونشر دعوته ، أكثر من انصرافهم إلى إحياء الزهد والاعتكاف ، وكان الجهاد وبذل النفس فى سبيل الله ، هو أكبر شرف يناله المسلم .

وهو حافل بشتى الموضوعات التى تهتم بالدين والدنيا ، ولكن سوف نركز على ما نرى أنه أهمها نفعاً للمسلمين ، فالكتاب بدأ أولا بالإنسان لأنه أساس الحياة « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » بهذه المشيئة المطلقة العليا أراد الله عز وجل أن يسلم الكوكب المسمى بالأرض للمخلوق المنحدر من نسل آدم ، ويزيد الله تبارك وتعالى فى تكريم آدم فيأمر ملائكته بالسجود له « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » ، ويزيد الحق عز وجل فى تكريمه لآدم وزوجه فيسكنهما الجنة ، حتى

إذا مرت بآدم تجربة العصيان وعرف عدوه الذى رفض السجود له ، وعرف مسئوليته فى إخراجه من الجنة ، شاءت الإرادة الطليقة العليا أن نسلم الأرض للإنسان « ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » فأى تكريم للإنسان أن يعلن الله عن استخلافه له فى الملأ الأعلى ، ثم يأمر ملائكته بتحيته ، ثم يسكنه الجنة ، ثم يقبل توبته بعد عصيانه ويغفر له ، ثم يهبطه إلى الأرض ، وقد سخر له ما فى الأرض ، ثم لا يدعه وشأنه يهتدى بعقله إلى خالقه ، وإنما يرسل إليه بالرسل والكتب والآيات ، أى تكريم للإنسان قال تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ومن الطبيعى عندما يتحدث الكتاب عن الإنسان أن يتعرض لصلته بالخالق عن طريق كتابه المنزل وهو القرآن قال تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا . ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » .

فكتاب هذه الأمة المسلمة هو القرآن ، عرفه علماء الاصول وهو الغنى عن التعريف بأنه الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ .

باللفظ العربي المنقول بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ، وعلى إمتداد الأيام والشهور كان جبريل عليه السلام يتدارس القرآن الكريم مع النبي ﷺ .

وفي البداية كان الرسول يسارع بالقراءة مع جبريل خشية أن أن يفوته شيء فصرفه الله تعالى عن هذا بقوله «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً » .

وقد وعد الحق تبارك وتعالى بحفظ ما ينزل على الرسول ، وتفهيمه له فقال عز وجل « لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرآناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه » .

والقرآن هو قانون الاسلام الأعلى ، والسنة هي تفسيره وتطبيقه ، والنبي عليه الصلاة والسلام ، والصحابة والتابعون وتابعو التابعين هم النماذج التي يخلقها القرآن من الرجال ، حين يخلق رجالا ويبنى على كون القرآن هو كتاب هذه الأمة المسلمة ، وقانونها الأعلى أن المسلم مكلف باحترام هذا القانون ، ولا يكون احترام القانون بتقبيله والتبرك به إنما يكون احترام القانون بتطبيقه وتنفيذه وهيمنته على الحياة ، وأقدار الناس .

ثم تحدث الكتاب عن : فضل الاسلام على الحضارة ، حيث افتتح الاسلام عهد الرشد العقلي بنزوله على نبي أمي ، وقوله في أول كلمات الرسالة الإسلامية « إقرأ باسم ربك الذى خلق » ثم أمره تعالى بعد ذلك لنبيه الكريم « وقل ربي زدني علماً » .

وليست الحضارة الغربية التي تسود العالم اليوم بتقدمها العلمي الهائل ، ليست هذه الحضارة في أحد جوانبها إلا بعض فضل العرب على أوربا بعد نزول الإسلام على العرب ولقد كان تقدير الإسلام للعلم هو السبب في اكتشاف المنهج العلمي الحديث الذى سادتنا به أوربا حين اكتشفته وأحسنت استخدامه ، وتقدير الإسلام للعلم واضح من قصة آدم وكيف أسجد الله له الملائكة لعلمه بأسماء ما غاب عنهم ، وهو واضح من أوامر الإسلام المتعددة بالسياحة في الأرض . والنظر في الكون والنفس بعد ذلك ، وهو واضح من أمر الله تعالى لرسوله « وقل ربي زدني علماً » ومن قوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط » فجعل شهادة أولى العلم تأتى بعد شهادة الملائكة مباشرة ، وهو واضح من قوله ﷺ « من سلك طريقاً يبتغى به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » ، « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، إن العالم

ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض »، « وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب » .

« إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر » .

ومن الكتاب نفهم أن الإسلام فضل على حرية العقل ، فقد جاء الدين الإسلامى بتوحيد الله تعالى فى ذاته وأفعاله « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ». تجلت بذلك للإنسان نفسه حـــــرة كريمة ، وأطلقت إرادته ، من القيود ، وصار الإنسان بالتوحيد عبداً لله ، حراً من العبودية لكل ما سواه « وإن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

وجاء الإسلام بتقاليد تشمل مبادىء المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله ، وتقرر أواصر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون .

يقول الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد : ثم للنوع الإنسانى يقتضى الإسلام أمران عظيمان طالما حرم منهما ، هما استقلال الإرادة ، واستقلال الرأى والفكر ، وبهما كملت له إنسانيته ، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطره عليها .

الشاعر محمود أبو الوفا

من يتعرض لشاعر كبير وصاحب وجهة نظر فى الكون والحياة مثل الشاعر محمود أبو الوفا ، لابد أن يكون حريصا للغاية ، فقد لاحظت أن الشاعر محمود أبو الوفا له استعمال خاص فى الألفاظ ، فهو قد إلتقط كلمات عادية لنا وجعلها من أرق ألفاظ الشعر عذوبة ، فمثلا قوله فى ص ١٩ قصيدة يارب من ديوان « أشواق » ص ٢٢ :

بقيت هناك قضية تحت الضلوع تعزنى
هى كيف يشقينى الوجود وأنت فيه تحبنى

بكلمة تعزنى نحن نستعملها استعمالا دارجاً ولكن لا نحس بجمالها .

وكذلك قوله : نفسى أزورك يا رسول الله يا أسنى سنى • قصيدة أشواق ص ٢٠ من نفس الديوان .

ومن أرق قصائد الشاعر التى تعبر عن نفسيته قصيدة قلب فنان ص ٩٧ من ديوان أنفاس محترقة يقول:

فتحت قلبي لحب الناس قاطبة

من أجل حبك ياروحي ووجداني

أمشي وقلبي على كفي أقول ألا

من راغب في فؤاد صادق حاني

فلا وربك هذا القلب ما التفتت

عين إليه فيا للبائس العاني

إلا أني أعتقد أن هذه القصيدة كانت قصيدتين أو كتبت على مرحلتين اللهم إلا إذا كان الشاعر أراد أن يسير على طريقة القدماء في عدم التقيد بوحدة القصيدة .

أما حكم أبي الوفا العصرية فتتجلى في مثل قوله :

لعمري كم يداري الضعف عنفا

وكم أيضاً يداري العنف ضعفا

من قصيدة اليتيم الأول ديوان أنفاس محترقة ص ١٢٠

غير أن هناك قصيدة : تسمعون الآن من نفس الديوان ص ١٢٦ يقول فيها :

وهو لو لم يكونوا رحماء

يبكو يا هؤلاء الضعفاء إلخ . . .

هذه القصيدة كان يجب ألا يضعها شاعر فى مثل ثقل الشاعر محمود أبو الوفا داخل دواوينه وخاصة أنها قيلت فى مناسبة حرق القاهرة ، أما كيف لم ينفعل الشاعر فى هذا الحدث بغير ذلك فهذه وقفة تأمل مع طبيعة الشعراء عموما ، فهم لا يملكون فى أى وقت يريدونه شحنة الانفعال .

غير أنى عند قراءة قصيدته وقفة الوداع من نفس الديوان ص ١٣١ امتزج عندى البكاء بالضحك خاصة عند قوله :

فغيرى من يقلد حين يبكى

ولكن أنا الباكى ابتكاراً

فالشاعر يعلم أنا جميعا نبكى وأنه لم يبتكر البكاء ، ومع هذا فأنا أحس أن هذه الصورة جديدة ، تكل الناس يقلدون فى البكاء : إلا هو فلا يقلد أحداً ، لقد ابتسمت إعجابا وكذلك صادفتنى صورة رائعة لصمود الإنسان الذى كان الشاعر مثالا عليه فى ديوان : أعشاب ص ١٣٩ من قصيدة وادى النخيل يقول .

كذاك قومك كانوا فى بداوتهم

ولم يزالو وفيهم منى تعاليك

العوضى الوكيل

صاحب مذهب النقد الشعرى

للمتأمل فى شعر الشاعر الكبير العوضى الوكيل يلمح من أول وهلة عمق الفكر وبعد النظرة وتحليل الشخصية وقد غلبت عليه هذه الملكة فى معظم مواضيع شعره ، ولعل هذه الملاحظة تكون من ضمن الأسباب التى جعلته ينجذب إلى أستاذى وأستاذه العقاد العظيم يقول الشاعر العوضى :

صديق وشيخى فى القصيد وقبلتى
ومذهبه فى الشعر والنثر مذهبي

له منطق فى الشعر طاغ وفكرة
وليدة عقل فى القرائح منجب

إذا ذكر العقاد أحسست نشوة
وزهو بأنى بعض من كان يجتبي

ولعلنا نجد هذا الفهم المتبادل بين العقاد وتلميذه المجتبى حين يقول فيه أستاذه العقاد :

أحسنت فى نظمك ونقدك كما أحسنت فى فكاهتك وجدك ،
وارى أنك قد أبدعت فى الأدب العربى فناً من الشعر الناقد أو من
النقد الشعرى لم يسبقك إليه أحد فى لغتنا ، ولا أذكر أحداً
سبقك إليه وأجاد فيه من شعراء الغرب النابهين غير (لورد
بيرون) فى القرن التاسع عشر (واسكندر بوب) فى القرن الثامن
عشر ، ولم يلحق بهما من طرق هذا المجال على أسلوب يذكر
بين أساليب أمراء البيان ، على أن « بيرون وبوب » لم يكونا
ناقدين فيما نظماه فى القصيد بل كانا مدافعين يردان هجمات النقاد
عليهما وكانا أحياناً محاربين يهجمان على أصحاب المذاهب المخالفة
لهما بين الأدباء والشعراء .

وقد جر هذا المذهب النقدى فى الشعر على العوضى كثيراً
من الهجاء ، وعلى سبيل المثال ما حدث عند نقده للشاعر المهجرى
« جورج صيدح » حيث قال العوضى :

أحببت فيك الشعر صافى الجوهر
وكرهت فيك تعصباً للمهجر

دافعت عن شعرهم ذو السكنة
والسالكين سوى الطريق الايسر

فرد عليه جورج صيدح يقول :

أحببت فى العوضى فن العبقرى
أقصى المحبة أن تحب المفترى
أشعاره تختال فى ديباجة
تكسو السموم غشاوة من سكر

وواضح من هذه الأشعار النقدية روح الفكاهة المتبادلة بين الشاعرين الكبيرين ، وقد فاتنا الكثير الذى لم نسجله من شعر العوضى الفكاهى الذى كان يقوله لنا فى مجالسه الخاصة مع أصدقائه من جمعية العقاد الأدبية والذى أرجو أن يكون الشاعر قد سجله فى أوراقه ، وهو لم يفس روح الفكاهة والحب الذى كان يسيطر عليه فهو لم يكن من الشعراء المتشائمين بل كان يحب الحياة ويدعو لها وهو الذى يقول :

والقلب مبسوط العنان فليس فى
دنياه من شجن ولا أتراح
متنقلا مثل الفراشة فى الربى
ما بين ورد ناضر وأقاح

يهفو ويهفو لا يعوق سبيله
لوم ولا تثنيه قولة لاح
يأتى الصباح مع الهوى فإذا الضحى
تأتى بحب غيره ملحاح
ذاق الصنوف من الهوى متمتعاً
متسلحاً من صبوة بسلاح

وحتى فى « آخر خمس دقائق » له نسمعه يقول :

إذا جاءنى عزريل قلت له إتئد
بربك أمهلنى لخمس دقائق
سأشهد فيها الشمس فى جلوة الضحى
وأشهد فيها الروض نضر الشقائق
وأبعث للنجم الذى غاب قبلة
فمن خافق تسرى إلى ثغر خافق
وأستنشق الأنسام زادا لرحلتى
ويا حسن أزواد النسيم لناشق
وأشهد رسماً خطه كف واحد
وأسمع لحنا صاغه قلب عاشق

فإن نبق من خمس الدقائق فسحة
لمت نبات الأرض فى بعض ما بى
وقلت لعزريل تقدم فلم تعد
بنا حاجة يوما لهذى الخلائق
ولست أرى فى الموت ما يفزع الفتى
سوى أنه يأتى لجماءة ما حق

ويرحم الله شاعرنا الكبير العوضى فقد كان يحمل الموت والحياة معاً فى لحظة واحدة ويعمل لهما معاً ، وهذا يدل على أن فكرة الموت والحياة والوجود وفلسفة الكون كانت مسيطرة عليه وتشغل حيزاً من تأملاته ، حيث أنى أرى أن أجود شعره وكتبه فى هذه التأملات ومن ذلك القصيدة التى ترجمها عن شاعر فليبينى بعنوان : الوداع الأخير حيث يقول :

وداعاً أعزائى ، إليكم خواطرى
فأنتم بنو أمى وصحب طفولتى
بهذا الحى المغصوب عشنا فإن أمت
فيحبو رحيلى بعد طول المشقة

مضى يومى المضنى جهادا وشقوة

فإن تطلبونى فاطلبونى بجنتى

ويا من لقناه غريباً عن الحمى

فأصبح أمسى فى الحياة وفرحتى

إلى الملتقى يا عدل نفس ومهجتى

وداعاً . . وداعاً . . فالمنية منيتى

رشيد الذوادى

إشارات أدبية

إذا كان الأدب تعبيرا عن المجتمعات فى كل خلجاتها ومعاناتها وتطلعاتها إلى الأفضل ، فإن هذه الإشارات الأدبية تشير إلى شخصية صاحبها المتعددة الجوانب فى فهم خصائص المجتمعات والحياة الأدبية ، المتفتحة على كل جوانب الأدب والفكر والثقافة فى أنحاء الوطن العربى الكبير .

وهذا يدل على سعة أفق الأديب رشيد الذوادى الذى جال بفكره وبشخصه فى كل بلاد الوطن العربى ، ثم أبدع لنا هذا الكتاب الذى يجسد « علاقة الأديب بالواقع الإجتماعى والحضارى » .

والكاتب صاحب أسلوب عربى رصين ومميز فى اشتقاقاته اللغوية ، وكدليل على ذلك تقرأ له هذا المقطع من ص ٢٣ حيث يقول :

عندما سارت قافلة الإستقلال فى رحلتها الأولى عبر الوهاد

والتلال بقيادة رجل فرسته التجارب والمحن ولوحت جبينه شمس الجهاد الذى أثمر حرية تونس وكرامتها .

كان « صاحب الفكر » محمد مزالى واحداً من رجال القافلة وكشافا من كشافيها الماهرين .

ورشيد الذوادى رشيد فى نقده بعباراته المختصرة المعبرة كما نراه فى ص ٣١ وهو يشير إلى كتابات ، عبد الرحمن الشرقاوى ، وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك ، إلى أن يقول :

« إن جميع ما أنتجه الأدباء العرب منذ القدم وحتى الآن وتساؤلاتهم يدخل بصورة أو بأخرى فى تعميق الأصالة ، وصون الرجولة والشخصية وهو يعكس أنماطا من شخصيتنا العربية » .

ورشيد الذوادى كاتب متعمق فى الثقافة العربية ، فهو عندما يطرق موضوعا مثل ثقافة الطفل نجده لا يعالجه بطريقة عملية بل يشرق فيه ويغرب بطريقة موضوعيه مركزة ، تشير ولا تفصل فهو يقول : ص ٣٦ إن الجودة فى الكتابة للأطفال فى رأيى تكمن فى عنصر التشويق ، وفى اختيار المضمون ، وفى عدم الرمزية ، وفى تحديد البنية اللغوية بحسب كل مرحلة عمرية الطفل .

ونفس هذه الموسوعية تلمسها فيه فى ص ٣٩ عندما يشير إلى القصص الشعبية العربية التى غمرت العالم ، وقد تم نقلها إلى عديد اللغات ، وتم اقتباسها فى الأفلام والمسرحيات ، وهذه القصص الشعبية ساهمت بقسط وافر فى خلق القصة الأوربية .

وهو عندما يشير إلى أيامه مع الشاعر أحمد رامى يحدثه عن تونس حديث المحب العاشق يجعلنى أتصور أن الذى لا يزور تونس ولا يرى أهلها قد حرم الجنة والحور العين فى الأرض ، فزيارتها نعمة والحرمان منها شقاء وحرام على العربى ألا يزور هذه الجنة من الوطن العربى .

وهو صاحب رسالة فى الكتابة ، يعرف لمن يكتب الأديب : « فبالكتابة قد نفرض مسارا فكريا معينا ، أو نرفع ظلما عن أمة ، أو نقرر واقعا قد يكون خافيا عن الكثير من الناس ص ٥٣

وهو عندما يشير إلى أمير الشعراء فى تجاربه الفكرية ويقوله فى ص ٦٤ :

هذا هو شوقى الشاعر والناثر والمؤلف المسرحى ، هو دائما يعيش فى وجداننا وفى أذهاننا ، لأنه كان دائما فنانا يترصد

العبارات الجميلة الأخاذة ودائما يسعى فى حكاياته ورسومه المميزة على تطويع اللغة العربية وجعلها قادرة على تصوير الـــواقع ، وعبارات أخرى كثيرة تدل على جيدة الناقد وعمق ثقافته كما ترى فى إشاراته إلى خصائص الشعر العربى حيث يقول ص ٧٠ إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود ، لكن أراد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيد إلا بمطلب واحد ، يطوى فيه جميع المطالب وهو « التعبير الجميل عن الشعور الصادق .

أرأيت إشارة وافية بالغرض فى إيجازها وبساطتها وعمق دلالتها أحسن من قوله : التعبير الجميل عن الشعور الصادق .

وهو من دعاة حركة التجديد فى الأدب العربى وكل صوره وأشكاله من شعر ونثر ورواية وتاريخ ، وعندما أشار إلى الأسماء الرائدة فى هذا الخصوص كان دقيقا فى ألفاظه دقة الأديب المؤرخ برغم إيجازه غير المخل يقول ص ٧٨

هذا هو الفهم الواعى لقضية التجديد فى الأدب ، إنه تعبير بالقصيدة والقصه والخاطره عن الوجدان المتفجر .

والأديب الناقد رشيد النوادى عندما يتهيأ للكتابة ، عن

موضوع لا بد أن يستعد له نفسيا وأن يحيط بكل ما يتعلق بالموضوع الذى يكتب فيه قديماً وحديثاً ، شأنه شأن كل كاتب جاد ومسئول ، فهو يؤمن مقدماً بمسئولية الكلمة ، نجد ذلك كمثال عندما تعرض بالإشارة للأدب القصصى عند العرب ، فهو يضع كل كلمة فى مكانها بدون زيادة ولا نقصان يقول ص ٨١

والقصة هى عدة أنواع : تكون شعرية وتكون أيضا نثرية وكلما طالت القصة الشعرية وتعددت أحداثها وصورت مشاهد وطنية سميت « ملحمة » والملحمةقدتكون قصيدة قصصية وذلك عندما تقتصر القصيدة على سرد حادثة معينة لا غير ، أما القصة النثرية فتكون خبراً وأحياناً « حكاية » أو « فكاهة » وطوراً « نادرة » وقد تكون « سمراً » إذا ما رويت فى أثناء الليل أو « رواية » حينما تكثر أشخاصها وتطول .

وعلى العموم فالقصة ظاهرة ، أدبية لها تاريخ حافل ، كما أن لها ضوابط ومقاييس ومحدودية وأهداف تربوية ، وهكذا يستمر يزودنا بالمتعة حتى يصل إلى أحدث ما وصل إليه فن القصة الحديثة .

أما بحثه المحيط عن ظاهرة المواجهة فى الأدب العربى وفى ص ٩١ فلا يمكن أن نعتبر هـــذا البحث يندرج تحت عنوان إشارات أدبية لأنه بحث قد استوفى أدواته عن أسلوب المواجهة الأدبية قديما وحديثا فى الشعر والقصة والمقال .

يقول فيه : إن الكلمة المسئولة لا بد أن تنطلق من هموم الإنسان المعاصر وأزماته فتتصور القلق والملل والحزن والوجد الروحى ، وأن تنمى الخواطر والأحاسيس ، ولا بد أن تأخذ مسارها الجديد فى الشكل وفى المضمون وأن تحتل مكانها فى عملية النقد الإجتماعى ويصبح بإمكانها أن تطور الفكر وتدعو الجماهير إلى العمل الجاد والسعى والكدح .

ومن خلال جولات الأديب الذوادى فى الدول العربية يحدثنا عن جماعة الديوان فى مصر التى تألفت من العقاد والمازنى وشكرى فيقول ص ١٠١ : مارست جماعة الديوان حركة التطور الأدبى ورفضت القوالب الجامدة المألوفة وقادت قافلة تطوير الشعر الغنائى نحو الأصالة ووجهت المضمون الشعرى وجهة جديدة وحرصت فى نفس الوقت على أن يحتفظ الشعر بقالبه الموسيقى .

ثم يحدثنا فى تطوافه وإشاراته عن جماعة أبولو فى مصر أيضا

التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى وكان من أعضائها الدكتور مختار الوكيل ومن ثمارها شاعر تونس الخالد « أبو القاسم الشابى » ثم يقول :

هم جماعة آمنوا بالتجديد فرفضوا الأشكال القديمة وتطلعوا إلى الحياة المثلى ، وكانت معظم قصائدهم تصور مدى لهفتهم إلى الحب وإلى الطبيعة كما حفلت أشعارهم أيضا بالإشارات التاريخية وبالشعر الصوفى و بملامح النزعتين التأمليه والصوفيه .

ونحن فى مصر لم نكن نعرف أن بيرم التونسى كان عضوا فى جماعة تحت السور بتونس إلا من كتابة رشيد الذوادى عن : الجماعة فقد كانت جماعة فنية وأدبية تحفزت للقيام بدور هام هو تطوير الصحافة والمسرح وبعث الأغنية التونسية وخدمة الشعب ، وتوعيته باللغة الميسورة ، والتأكيد على أصالته وقد وفقت فيما التزمت به ، وأدت واجبها على أفضل الوجود » .

ثم هو يقول لنا إن هذه الجماعة خرجت من جماعة : تحت السربوز التى كانت فى الثلاثينات والأربعينات أشبه شىء بمجالس

الأدب التى عرفتها كبريات مدن الوطن العربى على امتداد التاريخ .

ثم يحدثنا عن رابطة القلم الجديد كامتداد لهذه الروابط فى الوطن العربى مثل رابطة الأدب الحديث بالقاهرة التى يرأسها الآن الأديب الشاعر الناقد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، والتى جمع فيهما رشيد الذوادى بين عضوية الرابطتين فى مصر وتونس كرمز لوحدة الفكر والمصير ثم هو يحدثنا عن الصالونات الأدبية فى الوطن العربى مثل صالون مى زيادة ونازلى فاضل فى مصر التى تزوجت بخليل بوحاجب من تونس وسكنت بالمرسى وشاركت فى إنشاء تعلم البنات بتونس بجانب الندوات الادبية .

ويجمل القول أن كتاب اشارات أدبية يعكس فى سطوره أضواء على الفكر العربى الحديث وروابطه ويعطى أنموذجا حيا للكتابة الخالدة ، التى سوف تعايش التاريخ أو نأمل أن نقرأ كتابات جديدة لهذا الكاتب عن عديد لأدباء تونس مثل محمد العروسى المطوى والبشير بن بلامه ، والدكتور الحبيب الجنحانى والشاعر الميدانى بن صالح وغيرهم .

فتونس الحديثة اليوم بدأ فكرها يبرز على الساحة العربية ، وبدأ العرب يقرأون إبداعات أدباءها ومفكريها وقد لفتت أبحاثهم اهتمامات الأدباء فى مصر والعالم العربى بعد ماكانوا لا يعرفون فيها سوى الشابى ، فتحية لهذا الأديب الناقد الذى يقوم بدور بارز فى تعريف الأدباء العرب بأدباء تونس الحبيبة .

نصر الدين عبد اللطيف

النـاس والعصر

فى بداية قراءتى هذا الـكتاب ظهرت على وجهى ابتسامة ساخرة تشبه أسلوب الأستاذ الـكبير نصر الدين عبد اللطيف فى الـكتابه والحديث والصمت ، ولو أردت أن أسوق الشواهد على كلامى فسوف أضطر لنقل كل الـكتاب ، ولعل هـذا هو عذرى فى الإكتفاء بهذه الإشارات القليلة للمؤلف الإنسان الذى لا أدرى مقدما عن أي شيء يبحث ! عن الإيمان ؟ عن الحب ؟ عن السلام ؟ إنه يبحث عن وجه مريح وبراءة طفل صغير وعش هادىء ، إنه يبحث عن أجمل شيء فى العالم .

ونحن مضطرون أن نواصل معه البحث لنرى كيف يعيش الرجل الخش مع الناس والعصر الذى لا يستطيع أحد أن يقف ضد طبيعته فى التطور وتلك سنة الحياة ، ومن سنن الحياة فى التطور جنون المساء والسهرة الذى اشتبكت فيه المواضيع بالقصص والحكايات ، وأخطاء المذيعات والخيال المر وواقع الناس والعصر ، والمؤلف الحر .

ومعذرة فأنا لا أطيق الدموع ، والبقية عندكم فى المسرات ، أقصد فى بيتكم أى فى تليفونكم لقد وقع اشتباك بينى وبين المؤلف فى الخط الدراى فليس عندى ما يسر ، وليس معنى ذلك أنى أريد الحديث عن العقد والأحلام قارئة الفنجال ، فقد ذاع هذا الأمر وشاع حتى جعلنا المؤلف نبتسم عند قراءة هذا الموضوع من كثرة السماع ، أو أن انتقل بالحديث إلى الأرض اليباب ، فقد كثرت بسبب هذه القصيدة الشتائم والسباب ، وإن كنت اعتقد أننا ما زلنا نعيش اليباب والخراب وأيضاً الحباب .

وهذا يجعلنا ننتقل إلى قارئة الفنجال مرة أخرى لنستطلع الرأى فيما إذا كانت هى سبب الخراب أم من حق الشاعر أن يعبر عما يحسه هو حتى وإن كان هذا الإحساس لا يشاركه فيه الجميع والمهم عندى هو الصدق فى الموضوع ، أيا كان هـــذا الموضوع أم أنه لابد من جرح فى قيثارة الغزل عمر ابن أبى ربيعة ، كما أنه لابد من ترك أثر عند إرتكاب أى جريمه .

الشاعر الدكتور كيلانى سند

فى البداية نحن مع شاعر لايهم أى مدرسة من مدارس الشعر ينتمى ، وأى مدرسة نضعه نحن فيها ، ولكننا نتفق على أننا نتعامل مع شاعر يملك أدوات الكلمة الشاعرة ، وحتى هو كان لا يعنيه إلى أى مدرسة ينتسب ، إنما يعنيه فى المقام الاول أن يقول الكلمة الشاعرة ، من أجل هذا نرى الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند فى بداية ديوانه : فى انتظار المطر الصادر عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٩٧٦ يكون الإهداء فيه غير تقليدى ، فهو يهديه إلى حبيبته ، أياً كانت هذه الحبيبة ، وهو يصرح باسمها ، ويكتب فيها ألفاظاً شعرية يقول فيها :

وأهديك باقة أشواق من جنة حبك . . لا أكثر
يا من جمعت غمامات الأشواق بأفق تتفجر
شعراً وحنيناً وشبابا

لكن صديقنا الشاعر لايدع غمامات الأشواق المتفجرة تمطر على قلبه المحترق ، أو نطوفه « الحدائق المحترقة » ص ٤ فيتأبى قائلا :

لا لن أعود ولن أمـــد يدا
لتذوق قطرات من الكأس
كالطير هـاب النـــور منبهراً
فطوى الجناح مطأطىء الرأس
فإذا رجعت إلى لن تجدى
إلا رماد حدائق الأمس

وقد كان أيهاب الأحباب ، فما بقى بيننا وبينه الآن هو رماد حدائق الأمس ، ولن يعود « عصفور الحب » الطيب يشبع عواطفنا بأشعاره الملتهبة البسيطة ، الهادئة الثائرة ، كما نرى فى قصيدته ص ٥ يقول :

أقسم لن يرجع بعد اليوم فقلت له يا مكار
ستعود إذا خلع الورد القمصان ، وفك عن العطر الأزرار
ستعود مع الأطيار ، مع النسمة ، حيث توشوش آذان الأزهار
حيث يعود الناس اثنين . . اثنين . . وكل حديثهما أشعار
لكنى . . سأقص الريش . . أعريك

وألقيك أمام الريح ، وتحت الأمطار

فتبسم منطلقاً يتحدى . . سأعود ولو تلقيني في النار

أيها الأحباب : ونحن نتحدث عن موعد طائر صديق ص ١٠ نجد الشاعر قد مزج في قصيدته بين إلفه الأسمر ، وطائره المسجى ، وصديقه الشاعر الحالم « محمد الجيار » الذى غاب في قصيدة خفيفة الحركة والوزن كخفة الطائر المتنقل ، وكبساطة الأطفال الشعراء وكعمق الكون اللامحدود ، يقول صديقنا الشاعر :

قد مات بلا موعد

فلماذا لم يبك عليه سوى الشعراء

وكذلك مت كما قد مات

لم أعرفه عن قرب إلا فى لحظات

يسمعني أبياتاً من شعر

أو يتحدث عن قصة حب

أو يشكو من بعض الأزمات

أشياء يشكو منها الأطفال أو الشعراء

هل سلبوا الشاعر أيضاً ما كان لديه . .

فالشعر الخالد لا يسلب

نهر إن تشرب منه الأجيال . . فلا تنضب

يلمس أرض الجدب فتخصب

تعشوشب

وهكذا فى كل شعر الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند سوف تجد مجموعة من الصور ، والصور المقابلة لها فى نفس الوقت ، عن طريق الإيحاء تارة ، والذكر الصريح تارة أخرى ، كما فى قصيدته : صباح ص ١٦ فهو يتحدث عن طفلة فى العاشرة من عمرها كما يفهم إسمها « صباح » ، وتأتى إليه كل صباح تسأله إن كان يريد شيئاً ، وبدون أن يذكر ، أو يذكر سوف تفهم الصورة المقابلة لصباح عن الصباح يقول :

قبل بزوغ الشمس المتوردة الخدين

المتهدلة الشعر على الكتفين

أسمع طرقات يدين

طرقاتك يا بنت العشر من السنوات

أما فى قصيدته اللعبة ص ٢١ فسوف يتداعى إلى ذهننا ثلاثة أشياء « اللعبة ، والطفل ، واللعبة ، الأكبر » الحياة . وربما كانت فى هذه القصيدة مأساة الشاعر ، ونسمع قوله :

وسألتنى عند الرحيل متى تجىء ؟
وسكت ، لكن فى الغدير أيختفى سر خبيء ؟
وأدرت فى ذهنى سؤال
ماذا سيفعل من يقول له ابنه : أبتى تعال
ويطل فى شغف إلى بتارين المحال
ويمد أصبعه يشير إليه هات
وأبوه ليس لديه من متع الحياة . . سوى الفتات
وأتيت أحملها إليك
وأفقت من حلمى اللذيذ لقد أتيت فلم أجدك
فوقفت أنظر كاليتيم ، تدور عينى فى الفضاء
حنوا على المضنى المسافر فى الصحارى الظامئات بكوب ماء . .

أما قصيدة : الغراب ص ٢٣ فتخيل أنت كل الصور المقابلة،

وكيف تجمعت لتكون كالكابوس طبقت على عنق الشاعر فلم تدعه وهو يردد هذه الصرخات :

فيا هذا الغراب لعنت جاراً ثقيلا لا يطيب له جوار
أجئت حديقتى لتقيم فيها ، ألا فارحل ، مقامك لى دمار
غرثت حديقتى ، وبنيت دارى ، ولم يك لى سوى هذين دار
أغار إذا رأيت سواى يوما يحوم فيهما حرا .. أغار
وتصبح كل أعماقى كنار ، كشىء حين أنعته أحار

وفى قصيدة العبور ص ٢٥ فسوف أترك صوته يتحدث إليكم ، فإن شعره أقوى من الكلمات يقول :

كدوى النحل ، وكالسيل الجارف مثل هدير الشلالات
كان ضجيج الآليات
وهى تشق البحر : وتصعد بين تلال الرمل
تلقى بقشور اليأس العالق بين الوجدان
تغسل أوراق الحزن الملتصقة بجبين الإنسان
وتعبىء أحواض النار
لتغسل فيها قمصان الأمس المتسخة من عرق العار

لنغسل فيها قمصان الأمس المتسخة من عرق العار

لقد كان صديقنا الشاعر يلازمه هم الإنسان أينما سار ، حتى وهو فى نزهة مع حبيبته فى قصيدة : أغنية ص ٣٨ نجد رنة الحزن ، وتفقد عيون الحيارى وهو يسير ، يقول :

إن تدر طرفك تبصر من حوالينا حيارى
وردوا النهر وعادوا منه بالهم سكارى
آه لو نجعل يوما لهم الحب ... منارا
ونغنى فالربا الخضراء لا تبقى صحارى
ربما نصنع شيئا قبل ما إن نتوارى

هكذا الشعراء يموتون ضحية ليسعد الناس ، ويتعذبون ليجد الناس العزاء والسلوى بعذابهم ، فى قصيدة :

« شىء ما » ص ٣٩ يقول صديقنا الشاعر عن هذا الشىء :

شىء بصدرى ظل ينمو ظل يكبر فى الخفاء
متوسدا فى الضلوع له بها خبز وماء
لما رحلت صحا أطل برأسه ألقى الغطاء

نعرفته مذ كان ثم مضى فكيف إلى جاه

فى الصبح يغفو فى الضلوع يهب إن جاء المساء

فى قصيدة : « الخريف والحب » كان صديقنا الشاعر يعرف النهاية ، وليس أصدق من الشعراء فى الحديث عن المستقبل ، يقول :

وقد نبقى مع الأشعار أو ننسى فلا نذكر

أنا أعرف لا أنكر

وأشرعتى ممزقة تخاف الريح إذ تزأر

وغصنى لم يعد أخضر

ولكنى يعزينى أن العمر لم يهدر

فلم أبخل بما أعطى

فقد غنيت للشاكى وللباكى وللمقهور كى يقوى

ومن يشقى بلا جدوى

حملتهم على ظهرى وقدمت الذى عندى

قليل الزاد والمأوى

وقلت لهم : إذا ما جاء عيدهم الذى أهوى سأسكرهم بقيثارى

وأتركه لهم ذكرى

لكى يرثوه من بعدى

لكى أذكر

أما قصيدة : قبل الإلتقاء ص ٥١ وقصيدة : حين أراك ص ٥٢ ففيهما جرح الشاعر الرعاف ، والطفل الساكن فى أحشاءه ، يقول فى قصيدة : قبل الإلتقاء :

يا فيئى الممتد إن نسخت

شمس الظهيرة كل أفياء

أنا ما نسيتك رغم فرقتنا

ما زال مهدك بين أحناء

يا جرحى الرعاف أى يد

ستزيل منك مواطن الداء

ويقول فى قصيدة : حين أراك :

بضع لحظات تنكرنى

بضع لحظات لا أكثر

ويحيط الطير على الغصن

يا طيرى الأخضر . . كم حقل من فل يعبق فى حضن

النهر الضاحك ، والشمس العذراء ، وأشياء تبهرنى

لا تترك ما تتركه رؤياك إذا ما جئتك يا إبنى :

وأظل أردد ما قلت أردده فى شغف مضنى

هذا ماحدث بين كيلانى سند وابنه ، أما ماحدث بين كيلانى وأبيه فقد عبر عنه كيلانى فى قصيدته : وداعا يا أبى ص ٦١ يوم أن حمل حقائبه إلى القاهرة جريا وراء الآمال ، ولكن كان لأبيه تفكير آخر حيث تشبثت عيناه بإبنه ، يقول كيلانى :

غداة قصدت البيت أحمل حاجتى

وأمضى إلى مصر التى أتطلع

وما المرء فى دنياه إلا كـآلة
تدار بآمال الحيـــاة فتسرع
ولـكن غضضت الطرف عينى إذ دنت
إليك بدى عند الرحيل تودع
مددت يدا نحوى يحفزها الأسى
وأرسلت دمعـــا بالمحاجر يلمع
رويدك لا تطلق لعينك دمعها
عزيز على قلبى ترى لك أدمع
ولـكنه عطف الأبوة جامح
وحب تسامى فى فؤادك ممرع

يقول فى قصيدته : « مرثية لشاعر جوال » يهديها لروح الشاعر عبد اللطيف النشار :

كنت ترتل أعذب صلوات الشعر
حين انحنت الرأس . . وسال لعاب الشدقين

انتهت اللعبة ، لعبة أن نحيا ونكابد فإلى أين ؟
من يدرى قد تلق الريح ببعض أغانيك أمام حبيبين
يعيشان للتجربة ولكن فى صمت
حتى فى الموت تغنى ، حتى فى الموت ؟

أما فى رثاءه لنفسه فيقول فى قصيدة : مرثية فى ساعة الضعف ص ٦٦ :

مبحرة سفينتى ، مبحرة إلى مدينة الزوال
تآكل المجداف منها ، والشراع ، والحبال
اجمع فى حقائبى أوزع الحلوى التى بها على الأطفال
أحبة ابنى الصغير ، من يبصرنى يصيح فى انفعال
أبى . . أبى كأنه الغريق يمسك الحبال
عجيبة أيامنا التى تفتتت
كأننا لم نبن من أحلامنا تلال

وبعد أن جرفتنا مأساة الشاعر معها لا ينبغى أن نهمل ما كان له من طيبة قلب ، وخفة ظل ، وبساطة محبوبة .

نجد ذلك فى قصيدة دعوة ص ٨٢ حيث يقول :

سأدعو عليك

بحج الفراش إلى وجنتيك

وحين يمر به النحل يحك له عنك ، عما رآه لديك

فيأتيك فى لحقة العاشقين . . ليرتشف الشهد من شفتيك

سأدعو عليك

إذا العيد جاء ولم تأتنى سوف أدعو عليك

بأن تمرحى فى ربيع الشباب ، وقلبى يموح بين يديك

الله ما أجمل وأرق وأظرف دعاء الشعراء المقبول من الله والناس ، أما مكانة الشاعر الدكتور كيلانى حسن سند بين الشعراء بعد أن استعرضنا نماذج من شعره ، وتأملناها ، فهو من الشعراء الكبار الذين يملكون كل أدواتهم الشعرية ،: اللغة والوزن والموسيقى ، والصورة والتجربة الشعريه . التى قد سبقتها الموهبة الكبيرة . وهو يمتاز بشعر التلقائية التى لا تخلو من الكثافة والصور الطريفة .

وهو يمزج بين مدرستين من الشعر بلا تعصب ، ولا تكلف سوى التعبير عن شاعريته فى شكل أصيل وحر : يقول أستاذنا الدكتور خفاجى وهو خير دارس وناقد لشعر كيلانى سند ، حيث أنه تعهده ورعاه لفترة طويلة :

إنه شاعر من طراز عجيب ونادر ، ولد سنة ١٩٢٥ ورحل عنا فى أول نوفمبر ١٩٧٩ وبين الموت والرحيل ترك لنا ديوان : قصائد فى القتال سنة ١٩٥٧ ، وديوان : فى العاصفة سنة ١٩٦٢ ، وديوان : فى انتظار المطر سنة ١٩٧٦ ، وكلها من طبع مجلس الفنون والآداب ، وفى الطريق : ديوانه الأخير .

وبعد أيها الأحباب يقول صديقنا الشاعر الكبير الدكتور كيلانى حسن سند ص ٤٧ :

يا أصحابى . . فليتجنب كل منكم أن يوقظنى ، فأنا مضجع فوق ذراع الحب : .

الشاعر عاطف السيد

١ — أغنيات لمصر

علـــم تناقله السواعد فى الربا
بين المنـايا فى سماء دخـــان
ليرى تباشير الصباح يزفها
أمل يرفرف فوق نجد قـــانى

(من قصيدة وطن النضال ص ٢٧)

هذه الأبيات تصور مشاهد حيـة وحقيقية لمعركة خاضها الشاعر بنفسه ورأى هذا العلم والسواعد تتناقله وتقفز به بين المنايا لترفع به كرامة مصر فى أعلى مكان .

وهو لا يصور أن الجو والسماء وكل المـكان كان دخانا ، ولـكنه عاش ورأى ونقل هذه التجربة .

والذى يعيش فى هذه الظروف لابد وأن انقشاع هذا الدخان الذى يشبه الليل أو هو يستمر طوال النهار والليل ، لابد وأن انقشاعه يمثل بالنسبة إليه كل الآمال فى تباشير الصبـاح

حيث يخفف الصباح عن نفسه بعض أنباء المنايا التى تحيط به من كل مكان .

أيان أذهب لا شىء يخـايلنى
إلا هواك وأنس من ليـاليك

عدنـا إليه فـلم نعرف صباحجه
ولا حديثـا كمثل الشهد من فيك

مر النسيم كمثـل الغيظ يلفحنا
والماء نار وذاك الطل يبـكيك

(من قصيدة زهرة النيل ص ٤١)

هذه القصيدة تعتبر مثالا للتعبير عن العاطفة بطريقة سامية فالشاعر يعود للمكان ولكنه يجد أن طعم كل شىء قد تغير طبقا للحالة النفسية التى كان يعيشها وأصبح فيها الآن .

فهو صادق مع نفسه فى التعبير عما يحس به .

فى بعض القصائد نجد الشاعر يميل أحيانا إلى بعض الألفاظ غير المتداولة وهى ميزة لنشر غير ما هو متداول من اللغة

وإن كنت أحسست أحيانا بغربة اللفظ الشعرى فمثلا :

سكنت نفسي وروحى بلقاء الروح قرت .

ورأت منى قبولا فاستراحت واسيطرت .

(من قصيدة لقاء الأربعاء ص ٤٨)

وكذلك هناك بعض الأشياء اللغوية مثل :

رفهى عنى ثريـــا وابرئى جرحا عميق

فكلمة عميق وقف الشاعر عليها بالسكون ، والمنون يوقف عليه بحزف التنوين وليس بالتسكين .

(من قصيدة الأخ الشقيق ص٧٦)

والشاعر محمود له تأثره بالآيات القرآنية فى مواضع شتى مما يدل على تمكنه من حفظ القرآن وليس التأثر بالقراءة فقط فمثلا :

واسقنى كأسا دهاقا وشرابا من رحيق .

قصيدة الأخ الشقيق ص ٨٦ .

فالشاعر إذا ابتعد عن التراث اقترب من السطحية .

ولا نستطيع فى هذه السطور القليلة أن نتكلم عن كل قصيدة

بالتفصيل ، ولكن لفت نظرى تجربة الشاعر الاجتماعية فى معرفة الناس والحياة .

ويتجلى هذا فى قصيدة : البائس ص ٩٤ وقصيدة الحياة والناس ص ٩٨ وكذلك قصيدة الظلال ص ١٠٣ .

وأيضا قصيدة العلم المفرد ص ١١٣ .

وواضح من قراءة الديوان أن الشاعر عاطف السيد تشغله قضايا ثلاث هى :

الوطن والعاطفة وما يعترض طريقه من روابط المجتمع ولا أستطيع أن أرجح جانبا على الآخر .

غير أن هناك أشياء له وأشياء عليه :

فهو يمتلك أدوات الشاعر : الموهبة واللغة والوزن والثقافة .

ولكن هل أضاف الشاعر عاطف السيد جديدا إلى الشعر ؟

وهل استفاد من قضايا الشعر المعاصر ؟

قضيتان مطروحتان للمناقشة .

٢ ــ أطياف الشفق

دائما تفرض الموهبة نفسها ، وهى لا تحتاج إلى دعاية كاذبة ولا إلى طنين ورنين لإثارة الانتباه ، ولعل هذه الموهبة التى صقلت نفسها بالدراسة ، والتجربة تتمثل بكل أدواتها الفنية فى الشاعر الذى نقدم له هذا الديوان « أطياف الشفق » الذى يعد الديوان الثانى للشاعر / عاطف السيد ، بعد ديوانه الأول « أغنيات لمصر » ومن خصائص الشاعر عاطف السيد تمكنه من أدواته الفنية الوزن واللغة والموهبة الشعرية التى صقلتها التجربة الشعورية ، ونسمع له هذا النموذج :

يا حبيبا ساهما فى الأفق
فى رواء مثل طيف الشفق
إهبط الأرض فقلبي لم يزل
فى رداء من سواد الغسق
وبما يورق عهد قد ذوى
فى ربيع كالسنا مؤتلق
فترى الأرض وقد صارت لنا
جنة عذراء بين الفلق

ونرى فى هذا النموذج طواعية الوزن بلا تكلف والصورة

الشعرية المركبة بلا صنعة ، مع توارد الكلمات التراثية التى هى من ثقافة الشاعر لتكتمل الصورة الشعرية فى توافق وانسجام

ويمتاز الشاعر عاطف السيد بروح الفنان الصادق الذى يعبر عما يحسه من داخله بصرف النظر عن وقع هذه الصورة على الغير وهو يعيش قلق الفنان ، ونظرته إلى الوجود برغم توافر عوامل خارجية كان يمكن أن يكون لها تأثير فى حياته لولا أصالة الموهبة وصدق المشاعر .

ولعل هذا يتجلى فى قصيدته « الشريد » حيث يقول فى بعضها :

هيئة باتت كأخلاق الورى

كشفت عن هيكل ذاوى الغصون

ورمانى اليأس من زفرته

بلهيب يتلظى فى جنون

بين أنات وصوت واهن

فنيت كالجسم فى وادى المنون

إلى أن يقول :

أنا لا أطلب إلا كسرة

وثيابا فى ذرى ركن أمين

وبعد :

أرأيت نظرة الفنان مهما توافرت له أركان الدنيا ! ؟

القصاصة الشاعرة : سعاد عبد الله

كل كائن فى الحياة له رسالة خلق من أجلها ، لا يستغنى عنها مهما صغرت أو هانت ، فما الذى يجعل الكائن ايغتر ويفترى ويكفر لأشياء ليست ملكه وهبها الله له .

مثل هذه الحكم العظيمة من وحى عبارات الأديبة الموهوبة والقصاصة الناشئة « سعاد عبدالله » ولولا أن القراء لا يعرفونها من قبل ولم يوضع إسمها فوقها لتخيلوا أنها من حكم العظماء الكبار الذين تركوا بصماتهم على مصائر إصلاح الشعوب فى العالم ، ولكن أحمد الله ـ صغيرتى الموهوبة على أنى لمست فيك هذه الموهبة ، فعرفتك بنفسك قبل أن أعرفك بالقراء الأعزاء ، فنحن فى زمن اختلط فيه التمييز بين الأشياء ، ونافس فيه الأستاذ تلميذه .

ولأنى عانيت هذه الأشياء فلن أسمح بتكرارها مع جيلك يا ستاد ، لقد سقطت من أجيالى مواهب كثيرة ، كان يمكن أن يكون لها شأنها فى إعلاء حضارة الإنسان وتقدمه ، لحضارة مصر

ليست ملكا لها وحدها ، والذى ينتقص المواهب حقها يرتكب جريمة فى حق الإنسانية .

ومعذرة عزيزى القارىء إذا قلت لك لا تقرأ هذه المجموعة القصصية ، وفى ذهنك بساطة العناوين مثل : «الأرنب المغرور ، والجمل الكذاب ، والسمكة العنيده ، وسارقة السكر» إلخ .

فقضايا هذه المجموعة ليست بهذه البساطة ، وربما يرجع السبب إلى أن هذه الفيلسوفة الصغيرة وجدت من تجربتها الكبيرة أن تخاطب الأجيال الناشئة ، أولا : الذين يجذبهم هذا الأسلوب والذين هم أمل مصر فى المستقبل .

ولا نشير إلى تجارب سابقة من هذا النوع فى مصر والعالم ، فلكل كاتب أسلوبه وتجربته الخاصة ، وأيضاً لعل السبب يرجع إلى أنها تعمل فى مجال التربية والتعليم ، فهى خريجة كلية علوم وتتابع الدراسات العليا فى نفس المجال ، كأستاذة لهذا المستقبل .

ولا أستطرد فى شرح قصص المجموعة حتى أترك المفاجأة لك عزيزى القارىء فسوف تجد فيها الحكمة والتجربة والتربية

على فضائل الحياة بأسلوب بسيط وسليم ومرح ، تكاملت له كل عناصر القصة بطريقة تشعرك بأنها لا توجه لك النصح والإرشاد بل تجعلك فى النهاية تضحك وتفكر ، وحتى إذا حزنت فهو حزن خفيف يحقق الغرض منه ، فهى شاعرة أيضاً لا تقل موهبتها فى الشعر عن القصة ، وليس هذا مجاملة ، فتحية لك باسماء ولكل جيلك الذى نجد أنفسنا فيه فنتفانى فى تعويضه ما حرمنا منه الآخرون .

الشاعرة : نور نافع

أصعب الأشياء أصدقها ، وأنا اليوم أمارس عملا صعبا لكن ما يريحني أني صادق مع نفسي .

فأصعب النقد وأصدقه في نفس الوقت ما كان موجها من أب او إبن أو أخ أو صديق، يمكن أن يكون قاسيا لكنه مريح ، وهو على أي حال لا يمكن أن يكون مغرضا ، هذا شأني مع الشاعرة نور نافع وسوف يتضح بعد تقديم الأدلة أنها أشعر الشاعرات وأصدقهن موهبة ومشاعرا .

وما زالت ترن في أذني قصيدتها : وتسألني ص ٥ « ديوان لعلك ترضى » التي أعطتها عنوان سؤالي لك ولا أدري كيف جعلت الوشم يرفرف وينطق وكأنها أعطيت القدرة على إحياء الموتى (ثم أدعهن يأتينك سعيا) .

وشم أخضر حلو يماثل شكل عصفوره

على الرصفين محفوره ترفرف وهى مصرورة

وتسألنى ؟

قبل هذا الكلام كنت أعتبر الوشم عيبا ولأول مرة أعرف أن الصبر ضعيفا :

كنت والصبر كالأليفين

فاتق الله فى الضعيفين

لا تلم قلبى لا تذكرنى

(قصيدة لا تذكرنى ص ١١)

وهى ترصد ظاهرة ضمور الحب فى المجتمع وتحوله إلى مجموعة أخرى من المظاهر الاجتماعية وتتحسر على أيام زمان ..

هل لم يعد فى الأرض حب ؟

كيف نحيــــا ؟ مستحيل

يا رحمة الله أزجيها لقيس أو جميل

عقلوا الجمـــال على الطريق

وداعبوا الطرف الكحيل

(قصيدة عودة أبو للو ص ٤٢)

وما أجمل تحية الصباح ص ٧١ :

كنت أشتاق نظرة العين

حينما كنت قاب قوسين

قل فما بال فوق عامين

ينشب البعد ظفره فينا

فى هذه القصيدة حلاوة فى اللفظ وخفة فى التعبير وتجديد فى الاستعمال ، وتأثر بالقرآن يدل على كثرة القراءة والحفظ ، علما بأن هذه خطوط عامة تشيع فى كل شعر الشاعرة الكبيرة ثور نافع وبعد !

فلغة الشاعرة طوع بنانها ووزنها منساب معها ، ومهما تملك قدرة التشكيل لا كما نريد ولكن حسبما تملى عليها موهبتها فلا يمكن أن تكون كثرة التنويع والتشكيل فى الأبيات مقصودة من عقلها الواعى ، ولكنها قدرة الفنان فى العقل الباطن .

أما قلبها : فرقيق رطب

لكنه مثل الهواء

هى تلك أفئدة النساء

أو لست تعلم حالنا

تدنو وفيها كبرياء

تهفو ويمنعها الحياء

وملاذها الإعوال

والضعف المقنع والبكاء

ميثاقها فى الصبر والتهديد مكتوب بماء

والهجر معناه الوئام

والصمت أبلغ من كلام

والدمع قال لعلنا

الدكتور : محمد صبرى السربونى

الشعر والشاعر

لم يعرف الدكتور السربونى كشاعر على الرغم من أنه بدأ حياته شاعراً منذ الصغر ، ومن شعره فى هذه الفترة قوله : (أدب وتاريخ واجتماع) .

وشعرى وإن طاب قبل الأوان

فنيران قلبى أنضجته

وإنى وإن كنت ذاك الوليد

فإن الحوادث شيبته

على الرغم من أنه شاعر من رأسه حتى أخمص قدميه ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى زحمة الدراسات الأدبية والتاريخية والسياسية وسيطرتها عليه ، فقد ألف أول كتاب عن الشعراء المعاصرين وهو فى سن السادسة عشر (١٨٩٤ — ١٩١٠) بعنوان : شعراء العصر فى جزئين ، وأورد مختارات من شعرهم

وإن كان ذلك لم يصرفه كلية عن طبيعته كشاعر وعودته إلى ذاته فنجده يقول :

مضى العام مذموم الفعال مشيعا
بأنة محزون ودمعة مشفق

فلا الغرب فى ساح اليقين بمهتد
ولا الشرق من رق الإسار بمعتق

وهو يملك من قوة الاسلوب وروعته ما بلغه الاوائل ، ومن عذوبة اللفظ وبساطته ما يفهمه جيلنا الحاضر .

وقد عاش معارك الوطن منذ بداية حياته ، فقد نظم قصيدة فى سنة ١٩١١ (مقدمة الشوقيات المجهولة) وهو فى سن السابعة عشر من عمره يوضح فيها موقف مصر من الصراعات الدائرة حولها منها :

قد آن أن أصلت سيف الورى
فقد عدا الذئب علينا وصال

إن لم أذد عن موردى بالقنا
فلا صفا عيش بتلك الليال

يا شرق ضاع المجد فى غمضة
والعيش يمضى بين حال وحال
كم استباحوا حرمة بيننا
وكم أذاقونا صنوف الوبال
يا حبذا لو عاد عيش لنا
كان فأمسى فى ربيع الزوال

وعلى الرغم من انغماسه فى تيار الحياة ومشاركته فيه ، إلا أنه كان يحن إلى السكينة والهدوء ، ويظهر هذا من أسلوبه وهو يصف امرأ القيس (الجزء الأول من الشوامخ للمؤلف سنة ١٩٤٤) فيقول :

شاعر متبد له رقة الحضر ، متحضر له خشونة البدو ، وبين هذا وذاك شعب مرهف الحس والإحساس يقنع بتمرة وجرعة من الماء أو اللبن ، ولكن غذاءه الأول وشغله الشاغل الحب والحرب والشعر ، واسع الخيال قوى الإدراك والفطنة سريع النجدة حب التفرد متمكن من نفسه ، ولو قدر للفرنسيين الذين

قاموا بأكبر ثورة سياسية فى التاريخ الحديث أن يعيشوا فى البادية طويلا لتجلى وجه الشبه بين الأمتين .

وقد كان يعتبر أن حياة البادية ، هى النبع الصافى الأول ، لأن المدنية لم تتمكن فى ذلك العهد من إقامة الحواجز من سقوف وأبنية وضجيج وأضواء أمام النظر والحس والخيال ، فكان الشاعر يغرد فى آفاق الطبيعة من غير قيد ، بل كان ذلك البدوى الذى تكشف خروق الثوب » عن جسمه النحيل يرتجل الشعر إرتجالا .

واسمعه وهو يغوص فى أعماق النفس ليحلل شخصية امرىء القيس وعدى بن زيد فى عبارات قصيرة مركزة سهلة واضحة فيقول كلا الشاعرين وإن تفاوتت شخصيتهما قحزون النفس ينضح بمرارة العيش والتجارب وتقلب الناس والأيام .

وكان من رأى الدكتور السربونى فى الشعر أنه لا يكون شعرا إلا إذا اجتمع للشاعر ملكة التمثيل والبيان ، وهما الإدراك والحس وقوة الملاحظة ، وقوة التمثيل والتصوير والأداء ، هى ما تسمى عنده بالإبتكار .

ومن هنا يطيب لنا أن نسمع رأيه فى أغانينا وموسيقانا فيقول :

وإذا قلنا الموسيقى وما إليها من أغان ، فإننا نقصد الموسيقى الرفيعة المتموجة فى الفضاء ، التى تخلق عالما روحانيا تطير فيه النفوس كما تطير أسراب الطير على موارد الماء .

أما تلك الموسيقى التى هى أشبه بنهاق الحمير فإنها لا تدل على مدنية ولا على قوة مخيلة أو حاسة مرهفة أو ذوق سليم .

وقد تكلم فى كتابته عن النثر الشعرى وهو يرجعه إلى العصر الجاهلى وما بعد الإسلام ، ويسميه شعر مرسل غير مقفى له وزنه ونغمة ، وكلا النثر والشعر يصدر عن طبيعة واحدة وفن واحد ، إذ فى كليهما يبدو الإيجاز الدقيق الذى تحتشد فيه الجمل والألفاظ احتشادا فى أجمل عرض وأبهج لون .

وهو يرى أن تصوير الشاعر وتصوير المصور لا يتعارضان ، فلكل منهما مزية الترجمة بأسلوب خاص عن إحساسنا أمام مظاهر الحياة والحركة والسكون .

ولعل من المناسب أن نسمع أبيات له من قصيدة : « حول الحرب » وهى من الشعر القصصى (مثبتة فى كتاب السلطان حسين كامل للأستاذ محمد سيد كيلانى) يقول :

وأب يظل جناحه أفراخه
ما ذاق من جرائهم طعم الكرى

ولكم تزود منهمو لرحيله
قبلا إذا ما الصبح بان وأسفرا

ويناضل الحدثان عنهم جاهدا
حتى يرد من العوادى عسكرا

والناس إما غافل أو كادح
والرزق فى الدنيا لمن قهر الورى

فإذا العشية أقبلت ألفيتهم
أبدوا لمقدمه السرور الأكبرا

من ضاحك جذلا ومن مستبشر
يلقى أباه مهللا ومكبرا

فتدافعوا للقائه وتسابقوا

ولو أنه صخر إذن لتفجرا

يا رحمة لبنيه روع قلبهم

خطب يدك المشمخر إذا عرا

فمضى إلى الحرب الضروس أبوهمو

ومشى إلى الموت الزؤام وما درى

من ذا يواسى اليوم ربة بيته

أكذا يداس عرين آساد الشرى

لهفى على العهد القديم وأنسه

عجباً لذاك العهد كيف تغيرا

بعثوا إليه بكتبهم وتساءلوا

عنه فما وجدوا هنالك مخبرا

وأتى البريد ولا كتاب مسعد

فبكوا عليه رحمة وتحسرا

وعندما كتب الدكتور السربونى فى سنة ١٩٦٠ ، كتاب :

« خليل مطران » أروع ما كتب: قال عنه النقاد : « إنه من كتب النقد والتأليف وهو (أى المؤلف) يجيد ويفيد .

وفى الختام نسوق هذه الأبيات التى بعث بها الشاعر الكبير خليل مطران ضمن رسالة إلى الدكتور محمد صبرى السربونى عند ظهور كتابه عن إمرىء القيس ، ونشرتها مجلة الأديب البيروتية عدد يونيو سنة ١٩٧٨ وهى :

بعد ألف وبعـــد بضع مئات نصفت عبقرية الضليل .

نفى البتر عن جلال امرىء القيس بسفر من البيان جليل .

رد صبرى ألواحه فتجلت من خفاء آيات فن جميل .

إنمـــا الرأى ما أبنت وهل أبلغ مما أقمته من دليل .

مع الدكتور محمد كامل حسين

بقلم إميل توفيق

١ — قرية ظالمة :

يقول الدكتور مهدى علام أمين عام مجمع اللغة العربية فى مقدمة الكتاب:

(الأستاذ إميل توفيق صورة إرهاصية مصغرة لبطله الذى كتب عنه فقد جمع بين الدراسة العلمية والميول الأدبية . فالكتاب بحث أدبى قائم على خطوط منهجية علمية)

ومن خلال معرفتى الشخصية للأديب الكبير إميل توفيق وقراءتى لكتابه عن الدكتور محمد كامل حسين وجدت أن هناك مبدأ عام يربط بينهما وهو الصدق . الصدق بمعناه الواسع والذى نحصره هنا فى التعبير الصادق عن الفكرة المنبعثة من النفس بأسلوب فلسفى أخلاقى مرتبط بواقع المجتمع .

ولا أكتمكم سراً أنه كان يصعب على فهم أحاديث الأديب إميل توفيق عن النظريات الفلسفية والأدبية حتى قرأت هذا الكتاب فوضعت يدى على نظريات فلسفية وأدبية ملموسة ولها إطار إجتماعى يتحرك فيه

ولأنه وجد ضالته التى كان ينشدها فى الأديب الدكتور محمد كامل حسين فأرجو أن تعتبروا حديثى منصباً عليهما معاً فالصدق عندهما يتمثل فى قوة التعبير المحددة المركزة .

وإذا كان الأديب الدكتور محمد كامل حسين يستشهد بأبى العلاء المعرى فى إتساع الفكر والحياة وتطابقهما معاً فى قضية الفكر ، فإن الأديب إميل توفيق طبق نفس الإطار على كامل حسين نفسه وإن كان قد رجح إتساع إطار حياته عن فكره ، فإنى أرى أن الأديب أميل توفيق لم يتح له أن يأخذ حقه فقد إتسع إطار فكره الفلسفى عن إطار حياته المعاشه ، وإن كان قد اتحدت عنده الذاتية مع الموضوع ، ذاتية الحب عندما يصطدم بقرية ظالمة ترى أن فى الدعوة إلى الحب جريمة تستدعى العقاب . أى أفكار جاشت بنفسى وأنا أقرأ هذا الكتاب ، لقد عشت مع هذا الكتاب بفكر فيلسوف وبساطة إنسان ، وروح

راهب: (الراعى الصالح يعنى بالتى تضل من غنمه ، ويفرح حين تعود إليه ، ويترك غير الضالة منها) .

وإنى أتساءل : هل يرجع العالم عن أسلوب القوة والتباهى بالشجاعة والمجد ، ويعود إلى التسامح والحب !! ؟

وأترك هذا التساؤل إلى تساؤلات :

تغليب الضمير على النظام ..

الضمير يعلو النظام ..

إذا كانت الخطيئة خروجاً عن حدود الله فلله وحده أن يعاقب عليها وليس لخاطىء أن يقتل خاطئاً .. الناس يختلط عليهم الأمر فيحسبون أن حبهم للصديق لا يكون إلا ببغض لعدوه الحب لا يدعو إلى البغضاء أو إلى الشر بل يحرص دائما على الخير ..

إن ما يدفعكم إلى العمل هو الخشية مما يقوله الناس عنكم فشتان بين الرغبة فى الفضيلة والخوف من الرذيلة والخوف كالبغض قد يؤدى إلى عمل حسن يوماً ثم يؤدى إلى الشر يوماً آخر والأعمال يجب أن تصدر دائماً عن نية الخير .

الإنسان جزء لا يتجزأ من الحقيقة التى تتعلق به وهو عنصر ضرورى لتكوينها ولا يمكن بحثها موضوعياً مستقلا عنه فهو صانع هذه الحقيقة وباحث عنها ... أن يعالج جندى فى الحرب خصمه الذى أصابه بجراح ثم يسلمه إلى عدوه . . مرة أخرى الضمير الإنسانى أم النظام ؟ .

٢ — الوادى المقدس :

إن الأديب إميل توفيق يعشق الوادى المقدس الذى عشقه الدكتور محمد كامل حسين وأنا أعشق معهما هذا الوادى الذى (يترفع عما يتهافت عليه الناس من مجد دنيوى أو نجاح مادى والخير عنده لا يقاس إلا بمقدار ما يبذل من جهد فى ترفعه عن ضرورات القوانين الحيوية لأن القانون الذى تخضع له النفس هو قانون التطهر . ويقوم هذا القانون على بلوغ مرتبة السلم :

السلم بينك وبين نفسك ويحقق الإيمان .

والسلم بينك وبين الآخرين ويحقق الحب .

والسلم بينك وبين العالمين ويحقق الخير)

ومن منطلق هـذا الخير يظل الإنسان يترق . فهـل كان الإنسان ملـكا ثم سـقط وهـو يحاول الصعود ؟ أم حيواناً ثم إرتفع وهــو يحاول الرق ! ؟ وهـل النفس إذا إرتقت تصير ضميراً ! ؟

فالارتفاع والسمو من عوامل الإستهداء : (والتنافس من طبيعة الـكائنات ذلك أن الذين يـكسبون بالقوة إنما يتشبهون بالحيوان ، والذين يكسبون عن طريق العمل وبالمواقف التربوية المقنعة وبأن يكونوا أمثـلة تحتذى فهم وحــدهم الجديرون بالإنسانية .

وبعد : هل من حق الخاطىء أن يعاقب المخطىء ! ؟

الشاعر: د. مختار الوكيل

الشعر مرآة للشاعر ، فإذا حدث غير ذلك لم يكن الشعر معبراً عن صاحبه وبالتالي يخلو من التجربة الذاتية ، أى أنه شعر غير صادق ، أى أنه لا شعر .

ونحن عندما نقرأ ديوان مواكب الذكريات للشاعر الكبير الدكتور مختار الوكيل نجد لهذا الشعر خصائصاً تميزه منها : إختيار اللفظ ورقته ودقته ومعاصرته ولا أدرى كيف جعل الألفاظ تتراقص .

إنى عندما أقرأ له أحسه فى كل لفظة وكأنه ماثل أمامى فى رقته ودقته ومعاصرته وسلوكه المهذب ، فهو شامخ وبسيط كشعره تماماً .

ألم نقل إن الشعر مرآة للشاعر :

طر بى لعل النجوم فيها

من يفهم الشدو والأغانى

لعل ألقى بها نزيها
يعز شعرى بلا دهان

(قصيدة فى محراب الألم ص ٩٤)

ونحن أيها العزيز نعز شعر ونعزك ربما فرض علينا أن نعانى من أشياء نريد أن نقحم جيلك فيها وهو لم يعشها، ولكنك صادق كل الصدق مع نفسك ونسمع لك :

وعد الله نصرنا من قديم
إنه كان وعده مأتياً

(قصيدة تحية البطل ص٧)

كيف طوعت الآية من القرآن بهذه القدرة والبساطة ! ؟

إن الشاعر الدكتور مختار الوكيل يمثل جيل التأمل والرفاهة الفطية والمتعة المتأنية فى زمن نسى الإنسان فيه نفسه فأجيالنا الحالية تكتب وأسياط الزحام والمعاناة تلسعها من كل جانب يقول فى قصيدة هلال الفجر . ص ٤٥ .

وها هنا فى الصمت كوخى الحبيب .

كأنه فى الكون قلب القلوب .

لما بلغنا بابه فى الصباح .

نامت بصدرى ثائرات الجراح .

وغرد الحب وأعطى ونال .

وشاعرنا الكبير يعلم هذا ولا ينكره فهو يقول فى قصيدته عن العقاد ص ٥٤ :

يا أصيحابى الذين فضوا
أين ولى زماننا الرغد
حيث كنا نحيا الحياة هوى
ودماء الشباب تتقد
لا تلمنى إذا أنست بهم
فهو سلوة لمن جحدوا

ومن أبياته التى سوف يضرب بها المثل فى الحكمة قوله من قصيدة أخرى عن العقاد :

وما الفن فى صحراء الحياة

سوى جدول من زلال نقى

أما قصيدة الحب والموت فى فينيسيا فهى عالم يموج بالحركة والسكون معاً والكلام عنها يقلل من قيمة النص لأن الأفضل لهذه القصيدة أن نستمتع بقراءتها ولكن أنقل هذا الجزء لمن لم يقرأها :

هيا أركبوا مراكب الطوفان

هيا امزجوا الأفراح بالأشجان

هيا أخلطوا العطور بالأدران

وهللوا كالرعد كالبركان

لعالم يرقص فى الأكفان

إن الشاعر الدكتور مختار الوكيل لا يعرف المستحيل لا فى الحب ولا فى الحياة ، ولكى تكون الصورة مركزة فلا أحاول شرحا فالكلام عند الدكتور مختار الوكيل يطول ولكن نستمع إلى دليله (قصيدة حتى يعود الحب ص ٨٤) .

إنى أرى الحب فسحة فى الأجل

فالقمر الهيمان يعدو إثر شمس الأزل

الباقورى . بليغ عصره

خـــواطر وأحاديث

عظمة الباقورى هى فى غزارة علمه الوفير ، وفى سماحته عن إيمان واقتناع ، وهى فى فهمه الشفيف لرسالات السماء ، وطوافه بمعظم دول العالم الإسلامى ، حيث شارك فى جميع أحداثه ، واحتل مكانة المفكر والرائد الإسلامى فى العصر الحديث ، حيث كان أفقه الواسع ومعرفته التامة بشئون عصره ، وشئون المجتمع الإنسانى والإسلامى فى عصره ، إلى جانب علمه الغزير واطلاعه الواسع ، وبصيرته النافذة .

كان لكل ذلك أثره فى فكره واجتهاده وشخصيته .

وقد ترك فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى آثارا علمية كبيرة منها كتبه :

عروبة ودين ـــ دروس وكلمات ـــ مع القرآن ـــ تحت راية القرآن ـــ قطوف من أدب القرآن ـــ كلمات ذات تاريخ ـــ

مجالى الشمائل المحمدية — معالم الشريعة — مع الصائمين — لله ثم للتاريخ — العودة إلى الإيمان — صفوة السيرة المحمدية — قطوف من أدب النبوة — الأسرة فى الإسلام — الدين والتدين — على إمام الأئمة — فى عالم الروح — خواطر وأحاديث .

والكتاب الأخير وإن كان ليس أولها إلا أننا سوف نستعرضه لنقيم الدليل والمثل على بلاغة الأستاذ ، وبعد نظره ، وحسن عرضه للمواضيع الخاصة بالدين والدنيا ، وتسامحه فى معاملاته مع الناس أجمعين ، لأن الدين المعاملة .

فقد كان واسع الفكر والأفق ، يؤثر بشخصيته ، وبصوته الرزين الهادىء المتزن ، الذى كان يضغط على مخارج الحروف فتسمعها كأنها موسيقى ، مما جعلنى أذهب إلى كل مكان يذهب إليه لأستمتع بحديثه العذب ، وسلوكه القدوة فى حسن التصرف وحسن السلوك الإجتماعى ، فقد كان فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى يرحمه الله قدوة متحركة على الأرض يتأثر بها كل من يتصل به .

وهكذا يكون التأثير الإجتماعى فى السلوك لتغييره ، بدون أن يأمر من حوله بفعل شىء أو تركه .

ومن هذا المنطلق يكون الشيخ قد أدى رسالته الاجتماعية التى خلق من أجلها، من واقع ما ذكره فى كتبه التى لا يزاله بعضها لم يصدر بعد غير ما ذكرنا .

ومن واقع أحاديثه المنشورة والمذاعة ، والتى ألقيت فى المحافل والندوات والمحاضرات العامة ، وكل هذا يحتاج لجهود فوق طاقة فرد ، ولكن من باب الوفاء الشخصية قامت بدورها الاجتماعى على أحسن الوجوه ، وفى جميع المجالات ، بالحب والتقدير المتبادل بينه وبين المجتمع بجميع فئاته وطوائفه ، كان هذا الجهد المتواضع .

فى البداية نأخذ فكرة عن كتاب : خواطر وأحاديث بصفة عامة ، فالكتاب تربطه عناصر ثلاثة :

— المنهاج الذى يصلح أن يكون أداة إصلاح للمجتمع .

— القدوة التى تكون صورة حية للمنهاج ، فإن كل منهاج إصلاحى بغير قدوة تمثله أصدق التمثيل هو عبث لا خير يرجى منه ، ولا ثمرة تلتمس فيه .

— المدرسة التى تنشأ عن المنهاج والقدوة ، وتحتضن الإصلاح

المنشود إلى ما شاء الله لها من حيوية وإثمار ، وكل دعوة إصلاحية أنتجت للمجتمع الإنسانى خيرا ، إذا تأملناها رأينا نجاحها قائما على هذه الدعائم الثلاث : المنهاج والقدوة والأنصار .

المنهاج فى تلكم الآيات القرآنية التى تقول :

(فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . فالإطعام من الجوع ، والتأمين من الخوف ، هما ما تحتاج إليه البشرية فى كل عصر وفى كل مكان .

أما القدوة ، فقد اشتمل الكتاب على أحاديث حول رسول الله ﷺ ، يدور معظمها عن القدوة فى خلقه وأدبه وسلوكه ، فهو القدوة الصالحة ، على ما يقول الله تعالى :

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) . وأما الأنصار فهم كل الذين ساروا على المنهاج ، وسلكوا طريق القدوة الصالحة .

— وقد تحدث الكتاب عن القصد والاعتدال على أنهما خصيصة الإسلام الأولى . ونحن من جانبنا نلقى الضوء على هذه

العبارة المركزة التى عرف المؤلف بفكره الثاقب أنها لب الإسلام حيث أن القصد والإعتدال هما خصيصة الإسلام الأولى ، وإن الغلو والابتذال هما خصمه الألد .

يقول الله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

فالحقائق المعنوية الماثلة للأذهان مثل الحقائق المادية الثابتة فى العيان ، كلتاهما لها طرف أبعد ، وطرف أدنى ، وطرف وسط بين الطرفين ، والناس فى خضوعهم لحكم الفطرة ، أو مسايرتهم لوصايا الدين على ثلاثة أصناف : فمنهم صنف تذهب به طبيعته ، أو يذهب به دينه ومذهبه إلى أدنى الأطراف ، فهو مترخص شديد الترخص ، ومنهم صنف ثالث تذهب به طبيعته ، أو يذهب به دينه ومذهبه إلى منزلة وسطى بين المنزلتين ، فلا هو إلى الغلو ، ولا إلى الترخص ، ولكنه على أحسن مايكون من نشدان أوساط الأمور ، والأخذ فى طرائق الاعتدال .

والفضيلة الخلقية فى اعتبار أهل النظر هى وسط بين طرفين كل منهما رذيلة ، فالشجاعة — وهى صفة محمودة وخلق كريم

فى كل الأعراف وعند جميع الأمم والشعوب — إن هى إلا وسط بين طرفين ، فإن هى جاوزت منزلتها هذه فبلغت الطرف الأعلى كانت تهورا ، أو بلغت الطرف الأدنى كانت جبنا ، وكلا الأمرين : الجبن والتهور رذيلة ، ومن هنا كان القرآن : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

— وقد ركز فضيلة المصلح الإجتماعى الشيخ الباقورى على التربية الإسلامية حيث قال : إن أمتنا الإسلامية محتاجة أشد الاحتياج إلى التربية الإسلامية .

فمن الناس من يهده إلى الحق أيسر التنبيه ، ومنهم من لا يهتز إلا بالمنطق الصاخب ، والزجر البالغ ، واللفت الشديد .

والإسلام لكى يبلغ غايته إلى القلوب فتصغى إليه ، وإلى النفوس فتستأسر له ، وإلى الحياة فتسعد به ، لا بد له من أن يقع فى دنيا الناس بأمرين :

أولهما : المنهاج الواضح المحدد الصريح الميسور .

وثانيهما : القدوة الصالحة التى تحاول تربية الناس على الخير

بما تقول . فإن الدعوات الإصلاحية مذ كانت ، لم تشب لها نار ، ولم ترتفع لها راية ، بكلمات جوف يقولها لسان فصيح ، أو يخطها قلم سيال .

وإنما بلغت ما بلغت من المجد والقوة ، بحسن الأسوة ، وجمال القدوة فى الداعين إليها ، والمتشبثين بها ، والرواد بين أيدى السالكين الطريق إليها ، يقول القرآن الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

وكتاب الله جل شأنه هو المنهاج العظيم الذى تتربى عليه الأمة ، ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة التى نقتدى بها لخير الدنيا والآخرة .

يرحم الله الباقورى الرجل والانسان والقدوة والموهبة البليغة ؟

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥١ لسنة ١٩٨٧

مطبعة الفجالة الجديدة
محمد محمد عبد الرحمن السنوسي
٥ حارة الجامع بحارة اليهود بالموسكي



هذا كتاب ممتع حقاً ، يجمع
إلى المائدة الأدبية متعة عقلية ،
إذ تصدى لكتابته شاعر مبدع
هو الأستاذ محمد على عبد العال ،
فجمع إلى شاعريته رؤيا نقدية ،
تنفذ إلى عوالم « هؤلاء » ومن
« هؤلاء » ؟

إنهم أعلام الفكر والأدب
العربى الحديث يتيح لك المؤلف
أن تستمتع بصحبتهم ، والتعرف إلى جوانب من حياتهم
وفكرهم ، فينطلق من « مفتاح الشخصية » كما يقول العقاد
لينفذ إلى هذه الجوانب ، التى تأثر المؤلف بها قراءة وتعارفا ،
ويحرص على أن يعرف بمقومات الشخصية التى يتصدى للكتابة عنها

وهكذا يقدم لنا الأديب الشاعر محمد على عبد العال صفحات
مشرقة من أدبنا العربى الحديث ، يتجلى فيها حسه النقدى
وأرجو أن تتاح للقارىء الكريم فرصة كتلك
لى للاستمتاع بهذا الكتاب القيم .   د . عبد العز

(الثمن ٢ جنيه) تطلب دواوين الشاعر: الحب والس
ضياع ، هموم شاعر من مكتبة مدبولى بميدان طلعت حر

